الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات

الرقم:..... N° :.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(التخصص: تحليل الخطاب)

نظرة المجتمع للمرأة الأندلسية
دراسة أنثروبولوجية

مقدمة من قبل:

عبدي مروة

تاريخ المناقشة : 2015/06/21

الإسم +اللقب: فوزية براهيمي	**رئيسا**	**الرتبة:** أستاذ مساعد أ	**الجامعة:** 08 ماي 1945
الإسم +اللقب: نادية موات	**مقررا**	**الرتبة:** أستاذ مساعد أ	**الجامعة:** 08 ماي 1945
الإسم +اللقب: زغدودي ليلى	**ممتحنا**	**الرتبة:** أستاذ مساعد أ	**الجامعة:** 08 ماي 1945

السنة: 2015

تعد بلاد الأندلس معلما هاما في العلم والأدب بما تحمله من إرث عمراني وثقافي حيث تميز مجتمعها بالشعر خاصة في عهد الطوائف والمرابطين ،كونه من أزهى العصور فكريا واجتماعيا، والمتصفح لكتبهم يلحظ بأنّ المرأة الأندلسية تمتعت بحرية كبيرة في مجتمعها وذلك باقتحامها للنشاطات العلمية والأدبية فحققت ما لم تحققه نظيرتها المشرقية .

وقد لفتت انتباهي الحرية و المكانة الاجتماعية التي نالتها فكان موضوع بحثي عن " **نظرة المجتمع للمرأة الأندسية** ",حيث تسائلت عن وضعها في مجتمعها خلال عصر الطوائف والمرابطين, وتمحورت الإشكالية حول حضور المرأة في الشعر الأندلسي,وكيف كانت نظرة الرجل إليها ونظرتها هي لنفسها،أما عن اختياري للموضوع فهو راجع لأسباب ذاتية منها،ميلي إلى دراسة الحضارات وخاصة الأندلسية منها وبكوني امرأة أريد التطلع على حياة المرأة في هذا العصر وكيف كان وضعها الاجتماعي،كما استدعي بروزها في المجتمع كعنصر فعال فيه دراستها لأنها نافست الرجل فحاولت التعرف على القيمة الانسانية لها ومن جانب آخر فهناك أسباب موضوعية منها أنّ الحضارة الأندلسية لم تستوفى في الدراسة حقها، ولم يصل منها إلا القليل كونها مجال خصب للدراسة خاصة في المجال الأدبي ، وقد حمل الشعر لنا بين طياته أسرار هذا المجتمع السياسية والاجتماعية والأسرية التي يمكنا أن نستخلصها منه.

واعتمدت في دراستي المتواضعة على المنهج الأنثربولوجي باعتباره يبحث في الإنسان خاصة والمجتمع عامة من سلوكات وعلاقات اجتماعية، عادات، تقاليد ... فرأيت أنه منهج يصلح لهذا النوع من الدراسة وبناءا عليه قسمت البحث إلى :

مدخل تحدثت فيه عن الأنثربولوجيا،وتعريفها ،نشأتها وعلاقتها بالعلوم الأخرى ثم تطرقت إلى أقسامها، وفصل نظري تناولت فيه التاريخ الأندلسي بصفة موجزة وبعض مظاهر الحياة

الاجتماعية والثقافية فيه، وتعرضت إلى عوامل تطورها. وبعدها انتقلت إلى الفصل الثاني والذي كان تطبيقي تضمن نظرة المجتمع المادية والمعنوية للمرأة الأندلسية ثم حضورها في الشعر الأندلسي كزوجة وحبيبة، وبعدها تطرقت لمكانتها في المجتمع من خلال نظرة الشرائح الاجتماعية إليها وأخيرا تحدث عن نظرة المرأة لذاتها في مواطن مختلفة، واعتمدت في هذا البحث على مراجع متنوعة نذكر منها "**كتاب قصة الأنثربولوجيا لحسين فهيم، فصول في تاريخ علم الإنسان وكتاب فاطمة الجيوشي وعيسى الشماس في التربية العامة**"بإضافة إلى أهم مرجع وهو "**نفخ الطيب للمقري**"وديوان "**ابن زيدون**"وغيرهم كثير.

وهذا لا يعني أن مهمة البحث هينة إنما لابد أن تتخللها صعوبات كتطبيق المنهج على موضوع الدراسة لاسيما وأنه منهج حديث نسبيا، وقلة المراجع في هذا الميدان ومع كذلك عملت على إضاءة بعض الجوانب هذا البحث الواسع الذي يتطلب مجهودا أكبر ووقتا أكثر، وآمل أن يكون بحثي فاتحةً لبحوث كثيرة في هذا المجال وأتمنى أن أكون قد وفقت بفضل الله_**عزّ وجل**_ والشكر والامتنان للأستاذة المشرفة وما قدمته من توجيهات وإن وفقت فلي أجران وإن أخطأت فلي أجر وأسأل الله التوفيق .

ميّز الله الإنسان عن باقي المخلوقات بالعقل، فكان دائما موضع التأمل والدراسة من العلوم لذا فقد وجد الإنسان اختلافات بين الشعوب والأمم من حيث الطبيعة الإنسانية، الجسمية العادات التقاليد، الديانات...الخ، وقد ظهرت دراسات تولي هذا النوع البشري أهمية قصوى فتشابكت لتنتج علما جديدا، أصطلح على تسمية بـ: **علم الأنثربولوجيا**،وحتى نكون على علم أكثر بهذا النمط من العلوم لابدّ من معرفة ماهيته، وإجراءاته وموضوعاته.

I–تعريف الأنثروبولوجيا:

مصطلح الأنثروبولوجيا مصطلح غربي الأصل، ظهر في بريطانيا عام 1953، وكان المقصود به دراسة الإنسان من جميع جوانبه الطبيعية والسيكولوجية والاجتماعية وظل يحمل معنى الدراسة المقارنة للجنس البشري.

لغة:

حسب Le Nouveau Petit Robert دخلت لفظة **الأنثروبولوجيا** المعجم الفرنسي سنة 1832 وتعني " **علم و وصف الإنسان**" وتفرعت سنة 1516 عن لفظتي (بشر_ إنسان) و (علم) "Logie" و" Logos " وهذا المصطلح اللاتيني مؤلف من مقطعين "Anthropos" ويعني علم الإنسان "Scince of man"[1]

وحسب معجم Petite Larousse en couleur فالأنثروبولوجيا: اسم مؤنث يعني دراسة الإنسان الملاحظ داخل السلسلة الحيوانية، دراسة تخالفية (Différentielle) للمعتقدات وللمؤسسات المتصورة كأساس البنيات الاجتماعية.[2]

1- الزهرة ابراهيم: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية، الناي للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط2009، ص 13 نقلا عن
Le nouveau petite robert-dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française- Paris France, Juin 1996- P90.

2- عبد الله عبد الغني غانم: الأنثروبولوجيا الثقافية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2006، ص 09.

ويعرّف أيضا : " علم أقيسة الجسم البشري، وخاصة التحقيق في شخصية المجرمين "[1]

هذه بعض التعاريف اللغوية للأنثروبولوجيا، أما من التعريفات التي تحدد مفهومها نجد:

" **الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان**" [2].

إذن فإن هذا العلم اهتمامه الأول الإنسان وما يحيط به، كما أنه يعتمد طريقة المقارنة لاكتشاف التغيرات الموجودة بين المجتمعات وتركيبتهم الجسمية أو العرقية. ويدقق لنا أكثر في التعريف بهذا العلم أحد الباحثين قائلا : " العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة.... ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددا وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية للإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل..."[3].

فالأنثروبولوجيا بهذا المعنى علم يسعى إلى الإحاطة بكل ما يخص الإنسان من حيث هو كائن عضوي وكذلك المجتمع من حوله ونعت عادات وتقاليد مختلفة، وغير هذا فإنها ارتبطت بالحياة البدائية كونها تبدأ دراستها من أعماق التاريخ إلى أن تصل لحاضر هذا النوع البشري .

وحتى نتمكن من دراسة هذه الأنواع اللاّمتناهية من المجتمعات لابد لها من منهج وقد أشارت له الباحثة الأمريكية :**مارجريت ميد** في قولها :"نحن نصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة. كما تهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية، وتعنى أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته

1- سهيل ادريس : المنهل، دار الآداب بيروت لبنان، ط14،1994،ص 52 .

2- الزهرة إبراهيم: م.س ، ص 14 نقلا عن " 41 p1987 eslasoci sr Editiontaèetit la rousse en couleurs Dictionaire du théatre

3- أحمد أبو هلال: مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، الأردن، عمان، 1999، ص09.

وبصفة عامة. فنحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط وتغيير نتائج دراساتنا في نظريات التطور أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر ،إن التخصصات الأنتروبولوجية التي قد تتضارب مع بعضها هي في ذاتها مبعث الحركة والتطور والتجديد، وتجدر الإشارة على أن جزءا لا بأس به من عمل الأنثروبولوجيين يوجد نحو القضايا العلمية في مجالات الصحة والإدارة والتنمية الاقتصادية ومجالات الحياة الأخرى".[1]

إذن فإن الأنثروبولوجيا تأخذ طابع الوصف والتحليل وتتبع في ذلك مبادئ ومناهج للتوصل إلى نظريات تؤرخ لهذا العلم، وكثرة تخصصاتها تعمل على التقدم والتطور للمضي نحو العلمية أكثر حتى أنه جزء من الأنثروبولوجيين يتوجهون نحو مجالات الصحة، التنمية الاقتصادية وغيرها .

نخلص من هذه التعريفات بهذا العلم إلى أن علم الأنثروبولوجيا باختصار هو علم الإنسان وأجداده وأصوله، في كل مكان وزمان وعاداته وتقاليده ومميزاته وكل ما يحيط به.

II-نشأة الأنثروبولوجيا :

لقد ظهر علم الأنثروبولوجيا ليدرس الإنسان بدرجة أولى، فثمة من يورد ظهوره إلى عصر جديد، وهناك من يرى أنه وليد العصور القديمة ولكي نتمكن من معرفة ميلاد هذا العلم لابد من تتبع مراحل بروزه ونضوجه .

II-1-عند الإغريق (اليونانيين القدماء):

يعد المؤرخ الإغريقي Hérodote الذي عاش في القرن 05 ق. م وكان رحالة محبا للأسفار أول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجوه تنوع وفوارق فيما بينها، من حيث النواحي السلالية والثقافية واللغوية والدينية، ولذلك يعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي

1- حسين فهيم:قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، ع 98، 1986، ص 13.

الأول في التاريخ، فهو أول من قام بجمع معلومات وصفية دقيقة على عدد كبير من الشعوب غير الأوربية حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية إضافة إلى أنه قدم وصفا دقيقا لمصر وأصولها وشعبها، وهو قائل العبارة الشهيرة "**مصر هبة النيل**" ومما يقوله في عادات المصريين القدماء: "**إنه في غير المصريين يحلق كهنة الآلهة شعورهم، أما في مصر فيحلقونها، ويقضي العرف عند سائر الشعوب بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم في أثناء الحداد ولكن المصريين، إذ نزلت ساحتهم محنة الموت فإنهم يحلقون شعر الرأس واللحية**"[1]

ولذلك فقد ظهرت ملامح هذا العلم مبكرا وإن لم تكن هذه الدراسات تحت اسم علم الأنثروبولوجيا إلا أنها تعد نواته لأنها تدرس الإنسان في مجتمعه وتغيراته من فئة إلى أخرى وهذا ما يقوم به هذا العلم الحديث .

II-2- نشأته عند الرومان :

تابع الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الإنسانية وطبيعتها وتفسير التباين والاختلاف فيما بينها ... ولكنهم لم يأخذوا بالنماذج المثالية المجردة للحياة الإنسانية بل وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس والمحسوس ومع ذلك لا يجد الأنثروبولوجيين في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصلية في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافاتهم و تقاليدهم الراسخة في مثل هذه الدراسات ولكن يمكن أن يستثنى من ذلك أشغال كاروس لوكرتيوس التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة.[2]

- كانت أعمال الرومان مكملة لأعمال الإغريقيين بالرغم من أنهم أخذوا اتجاه واقعي أكثر وملموس ولكن الأنثروبولوجيين لم يجدوا في أعمالهم ما يفيد في التأصيل لعلم الأنثروبولوجيا بل يرونها أنها دراسات عابرة فقط باستثناء أعمال كاروس لوكرتيوس فيها بعض الأفكار الاجتماعية التي تفيدهم في مجالهم.

1- خفاجة محمد صقر: هيرودوت يتحدث عن مصر، دار العلم القاهرة، ط3، (د.ت)، ص 120.

2- حسين فهيم : م.س ، ص 47.

II-3-نشأته عند العرب :

لقد اختصت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات العربية الإسلامية، الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، حيث أصبح ذلك من ضرورات التنظيم والحكم .

ولذلك برز العرب في وضع المعاجم الجغرافية كمعجم الياقوت الحموي، وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (14م) مثل :"مسالك الأمصار" لابن فضل الله العمري، ونهاية الأرب في فنون العرب للنويري وإلى جانب اهتمام وإلى جانب اهتمام الكتب المشاهدة والخبرة الشخصية وهذا ما جعلنا مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دارسة الشعوب والثقافات الإنسانية".[1]

بالتالي شكلت جهود العرب عمودا أساسيا في بلورة المنهج الأنثروبولوجي لدراسة الشعوب من خلال المعاجم والموسوعات فساعدت في بروز هذا المنهج.

هذا عن الأنثروبولوجيا قديما غير أن البداية العلمية والمنهجية كانت في بداية ق 19م بدراسة الانسان وأسلافه وأصوله ومنذ مدى طويل وفي كل مكان بالاستعانة على الحفريات والآثار غير أن بعض الأنثروبولوجيين يميزون بين مجال علمهم وبعض العلوم الأخرى من علم اجتماع والاقتصاد والسياسة والتاريخ وعلم النفس والجغرافيا ... من حيث كونه يبحث في الجذور الأولى للمجتمعات البشرية، ولكنها لم تبق مقبولة في الوقت الحاضر كون مجال علم الأنثروبولوجيا اتسع مداه إلى المجتمعات الحديثة: فأصبح علما له أقسام وفروع متنوعة ومجالات شتى .

III-أقسام الأنثروبولوجيا وفروعها :

دأب العلماء على تقسيمها إلى ثلاثة فروع رئيسية وهي :

III-1-الأنثروبولوجيا الفيزيقية (الطبيعية) :

يهتم هذا الفرع بدراسة المظهر الجسمي للإنسان، ويتبع نشأته الأولى وتطوره ومدى اكتسابه للخصائص الإنسانية، حتى توصل إلى صورة الإنسان الحديث أو العاقل، كما يتناول هذا الجانب

1- فهيم حسين :م.س، ص 54.

دراسة الأحجام الخاصة بالجماجم وارتفاع القامة وشكل الأنف ولون العين، وكافة المظاهر الفيزيقية للإنسان.[1].

ويهتم هذا الفرع بجانبين:الأول: يدرس الأصول البعيدة للإنسان أي الأصول التي انحدر منها وأصبح كما هو عليه اليوم، أما الجانب الثاني: فيبحث في توزيع المجموعات البشرية المختلفة أو ما نسميه بالسلالات البشرية وتوزيعها على الأرض، كما شاهدها اليوم في عصرنا الحالي.[2]

فالملاحظ أن هذا العلم يهتم بالجانب العضوي (الجسمي) للإنسان بصفة كبيرة من خلال تتبع نشأته وتطوره إلى ما هو عليه الآن وتنظر له على انه عضو في المملكة الحيوانية وأن ثمة اختلافات جسمانية نوعية بين الكائنات الحية الراقية دون البشرية والإنسان الحديث وهذا ما أدى إلى نشأة فرع جديد من فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية أطلق عليه اسم"**علم الأشكال البدائية لأشباه الإنسان**"وظهر علم آخر امتدادا للدراسات السابقة وسمي "**علم التطور البشري**"وفيه يعمل الأنثروبولوجي على تتبع التطور الفيزيقي والعقلي الذي مرّ به الإنسان من القدم حتى الآن .

III-2-الأنثروبولوجيا الاجتماعية :

تعرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها :"**الدراسة التكاملية المقارنة القائمة على ملاحظة السلوك الإنساني في مضمونة الاجتماعي**"[3] وهي دراسة تكاملية لأن أي محاولة تتم لدراسة السلوك الإنساني تحاول الإحاطة بإطاره الاجتماعي الذي يوجد به، وتهدف إلى التأثير على أي فعل في الفعل الآخر فإذا أخذنا ظاهرة الزواج مثلا: من حيث هي حدث اجتماعي. فإن الأنثروبولوجي يسعى إلى التعرف على عادات الزواج المختلفة أو التعرف على القواعد القانونية له ويمتد إلى ظروف اختيار الطرفين أو العلاقة بين الزوجين والتغيرات الاقتصادية التي يحدثها الزواج والحقوق والوجبات التي تتعلق بالأسرة الجديدة وغيرها.

1- محمد عباس إبراهيم: الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،القاهرة، 1992، ص 05.

2- حسن شماتة سعفان: دراسات في علم الإنسان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص 19.

3- وسام العثمان: المدخل إلى الأنثروبولوجيا، دار النهضة العربية ، القاهرة، ط 2002 ، 31.

من هنا تعد الأنثروبولوجيا الاجتماعية دراسة مقارنة وذلك لاهتمامها بدراسة النظم الاجتماعية التي ترتبط ضمنيا بها في مجتمعات أخرى كدراسة شكل من أشكال الزواج في مجتمع ماعلى سبيل المثال، فإن هذا الشكل أيا كان مرتبط ضمنيا بأشكال الزواج المنتشرة في مختلف أجزاء العالم، ولهذا فإن دراسة تعدد الزوجات في المجتمعات الإسلامية يراعي فيها الأنثروبولوجي دراسة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والطقوسية والسياسية التي تؤثر في هذا النظام ولكنه يعني أيضا بدراسة ومقارنة هذا النظام مع غيره من أنظمة تعدد الزوجات في المجتمعات الأخرى [1] .

وهذا النوع من الدراسة يعتمد على الملاحظة وتستعمل للتحصل على معلومات متعلقة بالاتجاهات الاجتماعية والسلوك أيضا وبالتالي يكون اهتمامه بما يلاحظه ويراه من ممارسات داخل المجتمع وبين أفراده وعليه فإن هذا الفرع يميل إلى تطبيق المبادئ العلمية أثناء الدراسة فيكون أقرب إلى العلمية فهو يسعى إلى التحليل والتنقيب في سلوك الإنسان وإطاره الاجتماعي ومختلف التصرفات وكيف ينتقل التأثير فيما بينهم.

III-3-الأنثروبولوجيا الثقافية :

تعتبر الأنثروبولوجيا الثقافية أساسية كغيرها من الفروع الأنثروبولوجية العامة ونموها كان مبكرا مقارنة مع باقي الفروع ويعرفها تايلور:"ذلك الكل المركب الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفن والعادات والخلاق والقانون، وأي قدرات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع "[2]

فمن خلال هذا التعريف الموجز والجامح تكون الأنثروبولوجيا الثقافية هي كل مكتسبات الإنسان في حياته لأنها اهتمت بتجارب في مجتمعه وما قد تسطع فيه من عادات تقاليد وأخلاق وغيرها وكل هذا يُشَكّل شْيئا واحِدًا وهو موضوع الأنثروبولوجيا الثقافية أو مجالها .

واهْتَم بدراسَتها أيضًا كلٌّ من العالمين الأمريكيين كرويبر(kroeber) وكلاكهون(Kluckhohn) ونظَرا إلى أنّ الثقافة تمثل الأساس الجوهري الذي يمكن أن تقوم عليه الأنثروبولوجيا.

1- نبيل صبحي حنا:الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 1984، ص 32.

2- الزهرة إبراهيم : م.س ، ص 28.

كما يُعرِّف مايكيفر Maclvor وبيج Page الثقافة بأنها تستخدم للإشارة إلى كل ما صنعه أي شعب من الشعوب من مصنوعات بدوية ومحرمات ونظم اجتماعية سائدة وأدوات،وباختصار كل ما صنعه الإنسان أينما وجد، فالثقافة هي مفهوم يعني مجمل التراث الاجتماعي للبشرية .[1]

يتضح بهذا أن الثقافة هي نواة الأنثروبولوجيا كون الجميع يجمع على أنها صنع شعب معين من تراثه عبر أزمان فيصنع قوانين ومعتقدات لا يمكن تجاوزها ومن خلال تراث كل أمة نستطيع أن نتعرف على بناءها وداخلياتها وهذا ما تبحث عنه الأنثروبولوجيا بدقة، غير أن مصطلح الثقافة إذ أنّه يعني عند البعض "**الحضارة**" في حين تقتصر عند البعض الآخر على جانب (عادات،نظريات معارف ...) أما الحضارة فتتعلق بكل ما هو مادي داخل المجتمعات مثل: ابتكار واختراع أمر معين أما تايلور فهو جمع في تعريفه على أن الثقافة هي إرث كل مجتمع .

IV–علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى :

يتسع مدى هذا العلم ليتداخل مع علوم أخرى حتى يكاد الدارس يحصي نقاط عدة ونتائج بينها وبين علوم أخرى على النحو التالي:

IV–1–علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة:

تعود كلمة فلسفة إلى الأصل اليوناني المكون من مقطعين (فيلو PHILO + سوفيا SOPHY)أي فيلسوفيا PHILOSOPHY وتعني (حب الحكمة) أو محبة الحكمة، اختلف الفلاسفة في إعطاء معنى دقيق للفلسفة، فقد عرفها الطبيعيون بأنها " البحث عن طبائع الأشياء وحقائق الموجودات"[2] وعرفها بعض الفلاسفة الآخرون بأنها : "مجموعة المعلومات في عصر من العصور وإذا كانت الفلسفة أم العلوم كما كانت تسمى نظرا لشمولية دراستها لمجموعة من العلوم الرياضيات الإنسانيات الفيزيائيات... فتكون صلة الأنثروبولوجيا بها وثيقة جدا، ولاسيما فيما يتعلق بنظرة

1- الزهرة ابراهيم:م.س ،نقلا عن محمد عباس إبراهيم، الثقافات الفرعية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1985، ص100.

2- محمود عبد الحليم: التفكير الفلسفي في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،(د،ت)، ص 225.

الإنسان إلى الكون والحياة، في زمان ومكان محددين وذلك لأن الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية لا يمكن إدراك مكوناتها إلا من خلال دراسة الفعل الإنساني الذي يسعى إلى البقاء والاستمرار".[1]

والملاحظ هنا أن كل من الفلسفة والأنثروبولوجيا يرتكزان على محور للدراسة وهو نفسه عند كليهما –الإنسان– كونه الركيزة التي ينطلق منها البحث، ويلتقيان في النظرة للإنسان وما حوله فكلاهما يدرس الإنسان من حيث أفكاره وتطلعاته، والمعنى من هذا هو التركيز على الجانب الفكري له، وما يميز الفلسفة شمول الدارسة فتضم تحت جناحها العديد من العلوم فتلتقي بهذا مع الأنثروبولوجيا.

IV–2–علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع :

يعد علم الاجتماع من العلوم التي تهتم بدراسة الحياة الاجتماعية للبشر، وهو توجه أكاديمي تطور في أوائل القرن 19م ويهتم بالقواعد والعمليات الاجتماعية التي تربط وتفصل الناس ليس فقط كأفراد لكن كأعضاء جمعيات ومؤسسات وغيرها.

ويعرف بأنه: " **أنه يدرس العلاقات بين الأفراد وعمليات التفاعل فيما بينهم، وتصرفاتهم كأعضاء مكونين، لهذه الجماعة، فهو يركز على سلوكات الأفراد ضمن المجتمع أو ذاك ويدرس بالتالي تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، في تكوين الشخصية الإنسانية وتحديد العلاقات بين الأفراد**".[2]

إذن فإن علم الاجتماع يهتم بدراسة سلوكنا ككائنات والعلاقات القائمة بين البشر فهو الدراسة العلمية للمجموعات الاجتماعية والكائنات في تحركهم البشري في كافة أنحاء حياتهم.

ونجد أن علماء الاجتماع يعملون في عدة اختصاصات، مثل: العلاقات العرقية والإثنية التعليم العائلي، علم النفس الاجتماعي، العلاقات الإنسانية ... وغيرها.

1- محمود عبد الحليم: م.س، ص 226.

2– فاطمة الجيوشي وعيسى الشماس:التربية العامة، جامعة دمشق كلية التربية، سوريا ، 2002،ص 59.

وبما أن علم الاجتماع يتناول التفاعل والعلاقات الاجتماعية فحتما هناك تداخلا مع علم الأنثروبولوجيا كون الاثنين موضوعهما البناء الاجتماعي وقد قال في هذا الصدد أحد العلماء : "**إن علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، هو فرع من فروع علم الاجتماع المقارن**"[1]

وحسب هذا التعريف فإن الأنثروبولوجيا هي إحدى فروع علم الاجتماع المقارن كون الأول يهتم بدراسة المجتمعات والاختلافات الموجودة بينها والثاني أيضا ويحمل ذلك في تسميته بالمقارن.

IV-3-علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:

إن علم النفس من العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان، وعندما نقول النفس يعني العقل البشري وسلوكيات الإنسان وكل ما يصدر عنه من أفعال وتحركات، وهو أيضا منهج أكاديمي يعتمد على التفسير الرمزي والتحليل النقدي ذلك أنه يدرس العديد من الظواهر مثل : الإدراك، المعرفة والانفعال وفي حين يهتم بجانب منه بدراسة العقل الباطن والشخصية والعلاقات الشخصية المتبادلة وما يرتبط بالحياة اليومية من أسرة وتعليم وتوظيف ...

وقد ورد فيه :" أن علم النفس هو العلم الذي يدرس الإنسان من جوانب شخصية مختلفة بغية الوصول إلى حقائق حولها قد تكون ذات صفة عامة ومطلقة، يمكن تعميمها ولذلك تهتم الدراسات النفسية بالخصائص الجسمية الموروثة وتحديد علاقاتها بالعوامل السلوكية لدى الأفراد".[2]

وإذا كانت الأنثروبولوجيا توصف بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث تطوره وسلوكاته وأنماط حياته، فإننا نجد علم النفس أيضا يهتم سلوك الإنسان وهذا ما يشتركان فيه أما اختلافهما هو أن علم النفس يركز على الإنسان بمفرده أما الأنثروبولوجيا تركز على السلوك ولكن في الجماعة.

وتعد الدراسة الأنثروبولوجية دراسة للأنماط السلوكية الإنسانية بينما تعد الدراسة النفسية دارسة للسلوك الخاص بالشخصية الفردية وإن كانت تتأثر بالعلوم الاجتماعية ومن خلال هذا نرى تداخلا بينهما في نواة الدراسة وهو الإنسان.

1- لطفي عبد الحميد:الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة،1990 ،ص 44.

2- الجسماني عبد العال: علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1992، ص271.

مـن هـذا نخلـص إلى أن الأنثروبولوجيـا ميادينهـا كثـيرة ومتنوعـة ومحصـلة نتاجهـا هـو المزيـد مـن التعـرف علـى الإنسـان منـذ خليقتـه إلى يومنـا هـذا متتبعـة آثـاره وأخبـاره أو مستخلصـة تحليلاتهـا من دراسة المجتمعات التي لازالت تعيش الحياة البدائية في المناطق المنعزلة من العالم.

وعلى الرغم من التشابك والتداخل بين هذا العلم والعلوم الأخرى الاجتماعية ,الثقافية والنفسية إلا انه تفرد بخصائصه الواضحة باعتماد مادته الميدانية المستخلصة عن سلوك الشعوب والمجتمعات عبر مر العصور والتاريخ على تراث وواقع تلك الشعوب يومها.

I–لمحة موجزة عن الأندلس :

يعد الفتح الإسلامي للأندلس من المعالم الحضارية الهامة، حيث امتزجت الحضارات السابقة بحضارة جديدة، فكانت فترة الدولة الأموية من أزهى العصور حيث جذبت الكثير من الدارسين

وعاشت الأندلس مرحلة بعدها وهي **عصر ملوك الطوائف** وتميزت هذه الفترة بالطابع السياسي في الفترة 5 هـ/10م، ومما عم فيه جو الفوضى والانقسامات والتناحر، وبدأ هذا الحال مع وفاة **المنصور بن أبي عامر** حاجب **هشام المؤيد بن الحكم المستنصر** المكنى بأبي الوليد الذي كان قاصرا عن الحكم، وسقط تحت وصاية المنصور بن أبي عامر، الذي أمسك زمام الأمور وأقام الهيبة لنفسه وخلصت له كل بلاد الأندلس ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة إلا حقه في الدعاء أو كما قال المقري:" **أكثر من الدعاء على المنادر وكتابه اسمه على السكة والطرز**"[1]

وشهدت الأندلس فتنة دامت نحو ثلاثين عاما بوفاته، وتنازعت فيها الأحزاب المختلفة في قرطبة على الخلافة، فَأُزِيلَتْ كل رسوم العاصرين فمن قَتل قُتل ، ومن طَرَد طُرِد ... وغيرها، مما أدى إلى ظهور دويلات صغيرة، وتفرق أهل الأندلس إلى شيع فكثرت ألقاب الخلافة منها المأمون المعتمد والمقْتدِر ....

تميز هذا العصر الذي دام حوالي 80 عاما ، بالتفكك والإنحلال السياسي الظاهر علنا حيث انه سيطر عليها ثلاث قوى بارزة: عربية، بربرية، وعامرية باحثة عن مصالحها الخاصة، ونجد العرب قد جعلوا لأنفسهم دويلات منها: دولة بن عباد في اشبيلية، دولة بني هود ، الجذاميون سرقسطة أما البربر فكان لهم دويلات في مختلف مدن الأندلس منها: دولة آل زيري في غرناطة دولة بني الأفطس أصحاب طاطليوس ...

انقسمت الجهات أو القوى الثلاثة في الأندلس، مما سمح للإمارات المسيحية في الشمال بالقيام في وجه العرب، الذين كان دينهم ضعيف فبنوا علاقاتهم على حيطة وحذر، وشيدوا الحصون وجنود المرتزقة رغبة منهم في التوسع والسيطرة ويقول في هذه الصورة"**ابن عذارى**" وحال هؤلاء الأمراء قائلا: " **لم يزل ثغر الأندلس يضعف والعدو يقوى والفتنة بين أمراء الأندلس تستقر**".[2]

1- المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الكتب العلمية، بيروت،1986، ج1، ص 398.

2- ابن عذاري:البيان المغرب، دار الثقافة ، ط1، 1998، ج3، ص 239.

وبقي هذا التنافس بينهم حتى أنهم استعانوا بالنصارى مقابل الجزية، وبقوا على هذه الحال حتى ظهور الفونس السادس الذي عزم على استرداد الأندلس عن طريق فرض الجزية، ثم الأخذ قوة وقال فيه أيضا ابن عذارى:" **كلب العدو عليهم جميعا ومل من أخذ الجزية، ولم يقتنع إلا بأخذ البلاد وانتزاعها من أيدي المسلمين**"[1].

وبعدها اشتد الخطر بأمراء الطوائف فاستعانوا بالمرابطين "**يوسف بن تاشفين**" على النداء فكانت معركة **الزلاّقة** حيث توحدت جيوش المسلمين تحت إمرة "يوسف بن تاشفين" والمعتمد بن عباد"والثقة بجيوش النصارى تحت قيادة" **الفوسنو السادس**" فكانت معركة حامية انتصر فيها المسلون إلا أن ملوك الطوائف لم يأخذوا العبرة من هذه التجربة، وعادوا إلى نفس الحال التي كانوا عليها وتكرّر ذلك فما كان عليه إلا أن جمع الأندلس تحت لِواءِه، فتوحدت المغرب والأندلس أما ملوك الطوائف فكان لكل منهم شأن.

I-1-الحالة الاجتماعية :

لقد كان لانقسام الأندلس في عهد ملوك الطوائف أثار سلبية فأتسم باضطراب وتقهقر الحياة الاجتماعية، جراء الفتن الداخلية والمشاحنات بين الحروب المتعاقبة على الرعية التي ذاقت الأمرين ورأت أنواعا من الاضطهاد والظلم بسبب الضرائب المفروضة عليها والتي استغلت لسد ثلاث فجوات:

أ-الضريبة الأولى:

مخصصة لسد فجوة الجزية التي تدفع للنصارى وهي خاضعة للمساومة وكانوا لا يتأخرون عن دفعها خوفا من بطش العدو.

ب-الضريبة الثانية:

1- م.ن:ص 239.

وهي المفروضة على الجند ويزداد ارتفاعها كلما كانت الحروب، والفتن قائمة بين الأمراء أنفسهم.

ج- الضريبة الثالثة :

يخصصها الأمراء لبناء القصور واقتناء الثياب... الخ، وقد عهدوا إلى إثقال كاهل رعاياهم بهذه الضرائب.

وقد خلفت هذه الضرائب وسقوط المدن في الحروب الداخلية وهاجس الهروب من الظلم أن ظهرت هجرات أي رحلات داخلية وخارجية إن صح التعبير، وكان لبلاط المرابطين أن استقبل عددا مهما من العلماء وأصحاب الكفاءات من جنود ومعمرين وشعراء ...الخ أما الفقهاء فساندوا أمراءهم في تركيبتهم فيما يتعلق بالضرائب المفروضة على الرعية، فغمرت بلاطاتهم بالفقهاء أصحاب الشأن فيها، رغبة في تحصيل النفوذ والمال. وقد وصفها " ابن حيان" قائلا: "**ولم تزل كافة الناس مذ خلقوا في صنفين اثنين كالملح، فيهم الأمراء والفقهاء قل ما تتنافر أشكالهم بصلاحهم يصكون وبفسادهم يفسدون**".[1] إذن فهم نواة المجتمع بصلاحهم تبني الحضارات وبفسادهم يعُم الفساد والتدهور والانحطاط.

I-2-الحالة الثقافية :

لقد لقي الجانب الثقافي اهتماما وتشجيعا وحرية بالرغم من الحالة السياسية والاجتماعية لذلك العصر غير أن هذا التقدم الباهر كان ربما راجعا إلى المنازعات الملوك والأمراء، وهذا ما أدى إلى تحريك دورة الثقافة وازدهارها وأبرز ميزة هي أن الملوك كان معظمهم من الأدباء والعلماء والشعراء فنجد يديه في كتب التفسير والحديث، أما " المعتمد بن عباد " الملقب بأديب عصره ونظرا للاهتمام الذي لقاه

1- ابن عذاري:م.س، ط5،1998، ج3، ص 145.

الأدباء والعلماء فهذا جعلهم يأتون إلى القصور ويتنقلون من مدينة لأخرى دون عائق أو مراقبة فازداد جراء ذلك الاهتمام بإنشاء المكتبات الخاصة والعامة وصار جمع الكتب من أكبر الغابات ومن بين المكتبات نجد مكتبة " محمد يحي الغافقي" وكان " للمضفر" صاحب باطليوس كتابه المظفري الذي صنف كموسوعة في الآداب والأخبار في نحو خمسين مجلدا، مما زاد عزيمتهم الكتب المشرقية التي دخلت إليهم منها: القانون لابن سينا، كتب الفارابي وديوان المتنبي ورسائل بديع الزمان الهمذاني. وقاموا بدراستها ونقدها فكانت لهم كتب في شتى الميادين والعلوم.

وظهرت المرأة أديبة وشاعرة، عالمة وفقهية، طبيبة وخطاطة في فن الكتابة وبناء القصور التي ضرب بها المثل في جمال بساتينها وأزهارها...

ومن خلال هذه الإحاطة الموجزة عن هذا العصر فإنه تميز بتشجيع الحياة الفكرية فكان أبهى العصور بالرغم من خلافاتهم السياسية فقد شجعوا ودعموا هذا الجانب، فكان ازدهار الحياة الفكرية نتاجا لذلك.

II- مظاهر الحياة الإجتماعية في الأندلس:

لقد تعددت مظاهر الحياة في الأندلس فشهدت تغيرات على مر العصور التي اجتازتها هذه الدولة وسنتتبع مدى تنوع هذه المظاهر ويمكننا حصرها في:

1-II الزواج :

يعتبر الزواج نواة أولى لتكوين الأسرة وكما تعد الأسرة نواة لبناء المجتمع بصلاح الأسرة يصلح بفسادها ينعدم وكما لكل دولة عادات وتقاليد في الزواج فما هي هذه العادات وكيف يتم إنشاء الأسرة؟

تعدّ عملية اختيار الزوجة وخطبتها كمرحلة أولى فكانت بسيطة وسهلة، وقيل فيها: " قد يكون الفتى شاهد في مكان عام خاصة وان النساء كن يتسوقن بصحبة بناتهن، وأحيانا كانت الأم لها اليد الطولي في اختيار العروسة، وربما هذت ما كن يقبل بعدم الرضا من طرف الشباب لعدم اقتناعه بالعروسة وهذا ما نجده منتشرا بكثرة في البادية الأندلسية" [1]

وقد كان يمهد لهذا الزواج بين العروسين امرأة لها اسم " **الخاطبة**" فتمهد بين العائلتين وأكثر الخاطبات هن كبيرات السن كونهن أكثر حنكة في هذه المسائل.

وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران بكتابة وثيقة النكاح وكانت تتم في المسجد جليا للبركة والسعد. وكان يبدأ بالبسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكتب اسم الزوج والزوجة ووالديهما، وان تكون صحيحة الجسم وخالية من موانع النكاح.[2]

ومن العادات والطقوس الأخرى في الزواج ما يتعلق بالأب والشروط التي يفرضها على الزوج ليوفرها للعروس أي جهاز العروس."وهناك من الآباء من يميل إلى المباهاة والعظمة والفخر بجهاز ابنته حتى بأشياء منزله، وربما هذا ما أحدث مشاكل بين العائلتين عند رد بعض أشياء الجهاز إلى منزل الأب[3] . أما عن زمن الزواج أو الفرح فيدوم أسبوع بنهاره ولياليه مع تكفل أهل الزوج بالنفقات المتعلقة بالولائم.

ولكن ما نلاحظه أن اللهو على أنواعه في الأعراس ممنوع، ما عدا الدف العربي وهو أشبه بالغربال[4]، والملاحظ أن ظاهرة الزواج كانت تتم بطريقة متتابعة عبر مراحل الاختيار حتى يوم الزواج ويكون هذا الزواج قانونيا لضمان حقوق الزوجين ويتركان فيه بالبسملة والدخول إلى المسجد.

II-2- الإحتفالات والأعياد:

1- ابن رشد القرطبي: فتاوى ابن رشد، تح الطاهر التليلي، دار المغرب الإسلامي، بيروت ،ط1 ، 1987، ج3، ص 15، 16.

2- كمال السيد أبو مصطفى: بحوث في التاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، د.ط، الإسكندرية،1983، ص 62.

3- ابن عبد الرؤوف القرطبي: آداب الحسبة والمحسن تح فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005، ص 58.

4- ابن عبد الرؤوف القرطبي:م س،ص 52- 53.

يمكننا أن نقسم هذه الأعياد والاحتفالات إلى :

II-2-أ- الإحتفالات والأعياد الإسلامية :

يحتفل المسلمين في الأندلس كغيرهم من المسلمين بعيد الفطر والأضحى كونهما مناسبة دينية أما عن تحديد رؤية الهلال فقد كانت تتم كما قيل " وكانت رؤية هلال سؤال تتم تحت إشراف القاضي وكبار الفقهاء للاستطلاع، وإعلان انتهاء شهر الصوم.[1]

وكانوا يستقبلون هذا الشهر العظيم بكل إيمان وفرح فيكثرون فيه من مجالس الذكر وإنارة المساجد وتنظيفها لإعطائها حلة مميزة عن باقي الأشهر، ويختمون القرآن في الليلة السابقة والعشرون وما إن يدخل العيد حتى يأخذ الناس التهاني. "وقد كان الناس في الأندلس يهنئ بعضهم بعضا بحلول العيد وسنشد الشعراء أشعارا بين يدي حكامهم مهنئينهم بهذا العيد".[2]

ويتجه الأندلسيين كغيرهم إلى المساجد لإقامة صلاة العيد."وبعد الانتهاء من الصلاة تعم مظاهر البهجة والسعادة على الكبار والصغار فتعم أجواء المدن كلها.

ولعيد الأضحى أيضا نصيبه من احتفالات الأندلسيين حيث أنهم يتباهون فيه بالأطعمة كل حسب قدرته، وكانوا يشترون الضحية ويذبحونها ."وجرت العادة أن يتم ذبح الناس لأضحيتهم بعد ذبح أضحية أمام المسجد فقد أشارت فتاوى إلى وجوب إخراج أضحية إلى المصلى حتى يشاهدها الناس ولا يذبحون حتى ينصرف إلى منزله. وهذه هي السنة ولا زال يتبعها المسلمين إلى يومنا هذا وكانت في الأندلس أيضا احتفالات عظيمة وولائم ولعل أعظمها. "وأما أعظم الحفلات التي أقيمت في عصر الطوائف التي أقامها المأمون بن ذي النون بقصره في طليطلة سنة 445 هـ احتفالا بختان حفيده يحي فقد كانت أكثر بذخا وجلالا وتبذيرا.[3]

1- ابن زيدون: ديوان ابن زيدون ورسائله، تح ،علي عبد العظيم، مكتبة النهضة، مصر، ص 499.

2- م . ن ،ص 52-53.

3- حسن أحمد النوش: التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الأندلس دار الجيل، بيروت ،ط1، 1999، ص 86.

كما وجدنا أعياد دينية هناك احتفالات موسمية خاصة بالفلاحين أي هي مرتبط بالزراعة. ومن بينها احتفال بفترة العصر في فصل الخريف، حيث يخرج أهل القرية إلى الحقول والأدوية المجاورة ويقضون عدة أيام وليال يستغلونها في جني العنب وعصره، كما يستغل بعضهم هذا الموسم للنزهة، والفرحة، واستمر هذا الاحتفال حتى زمن ابن الخطيب.[1]

الملاحظ أن الأندلسيين يستغلون كل الفرص من أجل الاستماع بحياتهم وإبداء فرحتهم وهناك مواسم أخرى يحتفلون به أيضا.

II-2-ب- الأعياد المسيحية:

يمكن اقتصارها فيما يلي :

1-عيد المهرجان:

وللناس بمختلف طبقاتهم الاجتماعية عادات وتقاليد في هذا العيد، وربما هذا ما أدى بالطرطوشي إلى جعل هذا العيد من البدع خاصة وأنهم يحرصون في هذه المناسبة على شراء المجبّنات والإسفنج تشبها بالنصارى[2]. كان هذا العيد من الأعياد المهمة لدى المسحيين، وقد احترم الأندلسيون هذه العادات والمعتقدات فعاشوا في جو من التسامح، فيتمتعون بكل حريتهم حتى أنه لم يمنع عليهم تناول الخمر وبناء مقابرهم بطريقتهم الخاصة.

2- عيد ليلة العجوز :

كان المسيحيون يحتفلون بهذا العيد داخل الوسط الإسلامي، وهذا العيد خاص بليلة آخر السنة الميلادية وأخرى عرفت بخمسة أبريل ويحتفل بها المسيحيين بالجمعة العظيمة وترمز إلى صلب المسيح أما صلاتهم فكانت تتم يوم الخميس في المساء.

1- المقري :م. س، ج1، ص 118 نقلا عن كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي ،ص 245.

2- أبو بكر طرطوشي: الحدوان والبدع تح وتقديم عبد الحميد ترعي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص 320.

3-الأعياد اليهودية : يعد اليهود جزء لا يتجزأ من التركيب الموجود في المجتمع الأندلسي وأعيادهم كثيرة ومتنوعة ومنها :

3-أ-عيد الفصح :

ويسمونه عيد الفطير يكون في الخامس عشر من أبريل في كل عام ويدوم سبعة أيام يأكلون فيها الفطر وينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمير، وذلك احتفالا بذكرى خلاصهم من فرعون وغرقه.[1]

3- ب- عيد حوماريا:

يسميه النويري صوماريا ويسمى عند اليهود بالبكور وهو عندهم الصوم الكبير، أما عقوبة من لم يصمه هو القتل في شريعة اليهود ومدة الصوم خمس وعشرون ساعة ويزعمون أن الله يغفر لهم خطاياهم بهذا الصوم.[2] كانت هذه من معتقدات اليهود أي أن صومهم هو غسل لكل الذنوب ويصبح بها الإنسان ظاهرا عفيفا من كل ما ارتكبه ولتقديسهم لهذا اليوم جعلوا عقوبته القتل لمن لم يلتزم بالصيام.

II-2-ج -عيد الأسابيع: يحتفل بهذا العيد بعد عيد الفصح بسبعة أيام، وهي الأسابيع التي فرضت فيها الفرائض وكمل فيها الدين. حيث يصنعون في هذا العيد قطائف يتفننون في صنعها بدلا عن المن والسلوى الذي انزل عليهم[3]. ويقال أيضا أن هذا العيد موعده يكون مع الصيف يصاحب موعد حصاد الخيرات حتى تعم الاحتفالات

يحتفل بهذا العيد بعد عيد الفصح بسبعة أيام، وهي الأسابيع التي فرضت فيها الفرائض وكمل فيها الدين. حيث يصنعون في هذا العيد قطائف يتفننون في صنعها بدلا عن المن والسلوى الذي

1- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة. د.ت، ج1، ص 196.

2- م.ن: ص 195.

3- النويري: م.س، ص 196

انزل عليهم[1]. ويقال أيضا أن هذا العيد موعده يكون مع الصيف يصاحب موعد حصاد الخيرات حتى تعم الاحتفالات.

II-3-العادات والتقاليد:

إن المجتمعات على مختلف تنوعاتها لها عادات وتقاليد كل حسب بيئته وأجداده وأعرافه حتى إن بعض من الشعوب يقدمونها ولا يمكنهم الاستغناء عنها، ولذلك سنطلع على بعض العادات ومن المنقول عنها مما يؤكده المقري: "...**أن غرناطة مثلا يبالغ أهلها في نظافة أبدانهم وثيابهم ويكثرون من الاستحمام حتى أن الذي لا يملك إلا قوت يومه يطويه صائما ويساع صابونا يغسل به ثيابه، ومن تخلى عن هذه العادة يعتبر شاذا عندهم** ..."[2] ونجد هنا أنّ الدّليل على حب النظافة والاهتمام بالمظهر أكثر من أي شيء حتى يحل بهم الأمر إلى الجوع في سبيل الحفاظ على النظافة، وهذا أمر جيد كون الإسلام يحثنا على النظافة.

ومن العادات النسائية أيضا وقوف النسوة على الأبواب من أجل مشاهدة ما يحدث في الشوارع وقد استقبحت هذه العادة، وقد أكّد هذه العادة القول التالي: "وهذا ما يؤكده ابن حزم في طوق الحمامة أن النساء يتابعن مشهد الشارع من أماكن خاصة مثل الشراجيب لمشاهدة الرائحين والغادين".[3] و مثل هذه العادات موجودة عند كل النساء كونهن يتميزن بالفضول وحب التطلع ولهذا كانت النساء في ذلك العصر تهتم بهذه العادة لأنهن لا ينشغلن بشيء غير الأعمال المنزلية.

والملاحظ عندهم أيضا انتشرت عادة التسول وهذا يدل وجود الفقر، وعلّق على هذه الظاهرة **المقري** قائلا: " وأما طريقة الفقراء ...التي تكيل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق

1- م.ن: ص 196

2- م.ن:ص 197

3- ابن حزم: طوق الحمامة، في الألفة والألاف، تح محمد يوسف، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط1، 2004، ص 33.

فمستقبحة عندهم إلى نهاية، وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن أن لا يتصدقوا إليه بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر".[1]

ومثل هذه العادات القبيحة قد ذمّها الدّين الإسلامي كونها تحط من قيمة الإنسان خاصة إذا كان قادرا على العمل ويضعف نفسه لغيره فيذل من أجل النقود، فصاحب الصدقة هو من لا يستطيع أو ليس له القدرة على جلب قوت يومه ، فنجد بذلك أن المجتمع الأندلسي يسمح للمرأة أن تمارس عددا من الأنشطة الاجتماعية والدينية الثقافية بشيء من الحرية كاتخاذ بعض الشاعرات ندوة أدبية لهن مثل: "**ولادة بنت المستكفي**" والسيدة "**حواء زوجة بن أبي بكر**" و" **حفصة الركونية**".

وبلغت في عصر المرابطين بسلطتها شأنا كبيرا حيث كانت ندا للرّجل، فتمتعت بالمساواة الكاملة، وكانت تشارك في مجلس القبيلة، ومثالا على ذلك"زينب بنت إسحاق النفراوي" زوجة أمير المسلمين"**يوسف بن تاشفين**" كانت تتمتع بعظمة وسلطة واسعة، فكان زوجها يشركها في مختلف شؤون الدولة ويتمتع لنصحها وإرشادها، فبلغ من نفوذها عزل من تحب وترقية من تحب من رجال الدولة.

ومما سبق نخلص إلى القول بأنّ المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، لم يكن مجتمعا منغلقا فقد تميز بالانفتاح والتحرر حيث أعطى للمرأة مكانة اجتماعية هامة لم تعطى لسبيقاتها من النساء في العصور الأخرى.

III- مظاهر الحياة الثقافية في الأندلس :

مع تطور الحياة الاجتماعية في الأندلس بمختلف مظاهرها شهدت كذلك تطورا ثقافيا خاصة في عصر ملوك الطوائف وقد ساهم في هذا عوامل عديدة.

III-1-عوامل تطور الحياة الثقافية في الأندلس:

1- المقري:م.س،ج1، ص 220.

نجد من بين هذه العوامل ما يلي:

III-1-أ- تعدد المراكز الثقافية :

كانت قرطبة في ظل الخلافة الأموية تمثل مرجعية سياسية وثقافية واجتماعية ودينية باعتبارها عاصمة الملك، حيث كانت تستقطب وتمتص كل حدث ثقافي أو سياسي ومدينة يحج إليها العلماء والأدباء إلا أن ضعف الخلافة والتنافس على السلطة وغياب الشرعية أدى إلى انقسام الأندلس إلى مماليك.

والمتتبع لأحداث الفتنة البربرية يجد أنها اتخذت من قرطبة مسرحا لها الشيء أثر على مكانتها فتدهورت، فإنتاجها الثقافي أكلته ألسنة الفتنة ودمر عمرانها، وصارت موطنا للذئاب واللصوص فهجرها العلماء بسبب عدم توفر الأمن والاستقرار وفقدت بذلك أهميتها كحاضرة ثقافية، بعد أن ألغيت وظيفتها كعاصمة سياسية وإدارية وثقافية للأندلس كلها.[1]

وبذلك كانت الحياة الثقافية غير مزدهرة بسبب الفتنة ومكانا رهيبا للعلماء لعدم وجود الأمن وهذا ما أفقدها مكانتها الثقافية. ومن بعد ذلك تقاسمت المماليك التركة الثقافية وتنافست مع الصدارة مثل :أشبيلية، طليطلة، بلنسية، بطليوس ...

أما اشبيلية التي سرقت الأضواء الثقافة وتكوثرت علميا وأدبيا وتحولت إلى مدينة للأدب واللهو والطرب، وذاع صيتها أيام المعتمدبن عباد، فصارت قبلة للشعراء والأدباء خاصة وأن الرجل كان يملك من المؤهلات الأدبية ما يجعله الراعي الرسمي للثقافة في الأندلس.[2]

يمكننا القول بأن اشبيلية أخذت حصة الأسد من الثقافة آنذاك لكننا نجد أن طليطلة كانت أكثر تفتحا على الثقافة بفضل مؤسسيها بنوا فيها القصور وانتشرت فيها المجالس الأدبية والغناء.

أما بالنسبة لبلنسية "فشهدت ازدهار للآداب وهجرة منقطعة النظير من طرف الفقهاء القرطبيين بسبب الفتنة وشارك هؤلاء في الحركية الثقافية ببلنسية وترتب على ذلك تقدما واضحا علميا وأدبيا كما شهدت ازدهارا في الغناء والموسيقى".[1]

1- عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، ط3، 1987، ص 441

2- علي بن محمد: النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري، مضامينه وأشكاله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ج1، ص 120.

وممن نافسهم أيضا بطليوس عاصمة بنو الأفطس" فكانت كل المؤهلات الثقافية، فنافست أشبيلية على الزعامة الأدبية وأسست هي الأخرى ثقافة عبّرت بها عن وجودها كمملكة".[2]

هذه من بعض المراكز التي ورثت التركة الثقافية والسياسية لقرطبة، وهي الأكثر بروزا ويسيطر عليها ثقافيا وسياسيا وعسكريا، خاصة إذا ما قلنا أن الحروب كانت سجالا بين هذه المماليك أي الضعيف تقيد القوي.

III-1-ب-تشجيع الملوك للعلم والعلماء :

اهتم أهل الأندلس بالعلم لاسيما الملوك الذين كان لهم دور كبير في تكثيف مجالات العلم والبحث وتشجيع العلماء على الاستمرارية "حتى ملوك الطوائف بالعلم واهتموا به أعظم اهتمام فقد اشتهروا بحبهم له وتشجيعهم للآداب، حيث أن كل ملك منهم يحاول أن يجعل من مملكته محجة للأدباء والعلماء".[3]

ولقد تحددت البلاطات واجتهد كل ملك في استقطاب العلماء والشعراء، فضلا على أن بعض منهم كانوا أدباء وعلماء ولكل منهم ميزاتة الخاصة.

وقد ترعرعت هذه الحركة في ظل الملوك الذين أولوها قسطا وافرا بعنايتهم على الرغم مما كان يشغلهم من حروب وصراعات سياسية، ولكن من الإنصاف أن لهؤلاء الملوك باعتنائهم ورعايتهم وتشجيعهم لأهل العلم والأدب.[4]

يعني هذا أن حركة العلم وتشجيع العلماء شجعها الملوك واعتنوا بها بل وساهموا فيها بما يستطيعون خاصة أنهم أثرياء وهذا ما كان له الأثر في دفع الحركة الثقافية والرفع من مرتبة العلم والعلماء، والأدب والأدباء ومن بينهم :"**المظفر بن الأفطس صاحب باطليوس فقد كان كثير**

1- السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية عمرانية، أثرية، دار النهضة العربية ،بيروت، 1972،ج2 ص 108

2- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ باطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، ط2 ،ج1 ص104.

3- منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي: علماء الأندلس في القرنين 04 و 05هـ دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية- مكتبة الفهد، الرياض، ، ط1، 2003ص235.

4- منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي:م.س، ص86.

الأدب جم المعرفة محبا لأهل العلم جامعا للكتب، اشتهر بخزائنه العظيمة وبخاصة النحو واللغة والشعر ونوادر الأخبار وقد جمع من ذلك كتاب كبير سماه "المظفري" يبلغ خمسين مجلدا".[1]

وكما كان المظفرين الأفطس من المهتمين بالعلم وأهله كذلك هو الحال بالنسبة للمعتمدين عباد فقيل عنه "وقد كان المعتمدين عباد ومن ورائه أشبيلية مرجعية حقيقة لتشيع الحركة العلمية كيف لا وهو الملك المثقف ذو الباغ الطويل في العلم والنثر في عهده نفقت سوق الأدباء فتسابقون إليه وتهافتوا عليه"[2].

كما كان المعتصمة منهم أيضا " وأمام المعتصم بن صمادج صاحب أكرية فقد كان يعقد المجالس بقصره للمذاكرة ويجلس كل جمعة للفقهاء والخواص. فيتناظرون بين يديه في مجالات عديدة كتغيير الحديث، وقد لازمه فحوى الشعراء الحداد وابن عبادة".[3]

وعليه فإن العلم احتل منزلة كبيرة لدى الملوك الأندلسيين فكان كل منهم يسعى إلى الريادة في جو رائع من التنافس العلمي وهذا ما خلق إرث ثقافيا بقيت تفرق به الأندلس ويمتد إلى يومنا هذا.

III-2-مظاهر النشاط الثقافي: قد بين هذه المظاهر:

III-2 - نشاط المؤسسات الثقافية:

كان لهذه المؤسسات دور كبير لما لها من تأثير على الأفراد وهي متعددة منها نذكر:

III-2-أ-المسجد :

يعد المسجد هو اللبنة الأولى للتعليم سواء من ناحية السلوك أو العلم أو تطهير القلوب وغيرها وقيل فيه "إن المسجد عند المسلمين مدرسة حقيقية، يتلقى فيها الفرد التقويم السلوكي والعلوم والمعارف

1- المقري: م. س، ص 193.

3 - م.ن، ص193.

3- م.ن، ص 123.

عن أيدي العلماء، والأندلسيون في حياتهم العلمية اعتمدوا على المسجد في تعليمهم فقد كانوا يقرؤون جميع العلوم فيه بأجرة".[1]

كما كانت المساجد لها دور في التنظيم الاجتماعي الذي يمس جميع طبقات المجتمع المسلمة، كما كانت المساجد في الأندلس انتشارا كبيرا حيث قام الملوك ببناء المساجد الجامعية في كل حاضرة فتنافسوا في هندستها واستقطاب الطلاب كما قام بعض الأغنياء والعلماء ببناء المساجد خاصة بهم".[2]

هذا يعني أن المساجد لم يقتصر دورها على نشر الصلاة والهداية فقط بل كانت رسالته تمس السياسة والمشاكل الدنيوية والقضايا ذات الأهمية الكبرى، وكانوا يسعون لتوفير الراحة بتوسيع الأمكنة للطلاب كلما زاد عددهم.

" وقد تأثرت مساجد الأندلس بتلك الظواهر الثقافية الموجودة في المساجد المشرقية، وهي ظاهرة القصاصين التي وجدت المكان المناسب لبروزها، حيث كانت حلقاتهم مباحة لعامة الناس،وجدير بالذكر أن القصاصين لم يكونوا دائما محل رضا الورعين من المسلمين، خاصة الصراع بين أنصار المذهب المالكي والظاهري في الأندلس، ومهما كانت هذه الخلافات إلا أن المسجد احتضن تلك المناقشات الجدلية التي أسهمت في بلورة الثقافة من المسجد كوسيلة لإشعاعها".[3]

هذا يعني أيضا أن المساجد كان لها دور للإتحاد وحل النزاعات القائمة بين المذاهب والتي ساعدت على انتشار الثقافة بشكل كبير وواسع.

وما نستنتجه أن المسجد ساهم في إثراء وتنمية الوعي الثقافي والدين ولعب دورا هما كمؤسسة إنتاجية وإصلاحية للفكر وتقويم السلوك.

III-2-ب-السوق:

1- المقري، م.س، ج1، ض 141.

2- م.ن، ص 141.

3- محمد عبد الحميد عيسى:م.س، ص 269.

إلى جانب المسجد نجد السوق والذي يعتبر كذلك مؤسسة اجتماعية كبرى وهامة كونه يختص بالأمور الاقتصادية والتجارية من تبادل وشراء للمنتوجات، ولكن من زاوية أخرى يعتبر السوق باعثا للوعي السياسي والاجتماعي.

إن الحيوية الاقتصادية عنصر أساسي في المراكز الحضرية والسوق هو تجمع للسلع والتجار عبر نظام منتظم تسهر عليه الأجهزة وفي مقدمتهم المحتسب فالسلع المختلفة ألوانها تعبر عن ثقافة السوق والذوق الإنساني صحيح أن السوق يحتوي على فئات اتصفت بالغش والمخادعة في السلع وهذا مظهر سلبي سيقمع من خلال إجراءات المحتسب."[1]

من هذا نرى أن السوق هو نموذج لمدينة صغيرة تحتوي على وسائل الالتقاء الاجتماعي والديني وتقويم السلوك، لذلك فلا نعجب من أن السوق الأندلسي بتنظيماته قد ساهم في تكبير الجمود الاقتصادي وكذا الاجتماعي والثقافي، كما أن الأسواق الأندلسية تميزت بوجود أئمة متطوعين وأماكن للصلاة. وكدليل على ذلك " من خلال وثيقة أوردها أين سهل نقدمها كدليل على ذلك وتتعلق بفتوى حول الصلاة في الأسواق مفادها انه كتب إلى أين عتاب في حوانيت ابتناها السلطان فاكتراها الناس منه لتجارتهم وبقرب هذه الحوانيت ثلاثة مساجد فيها راتب وفي بعض هذه الحوانيت رجل أولع بإمامة من حوله في الظهر والعصر والصبح فضل الصلاة في الحوانيت جائزة أم لا ؟".[2]

إذن كانت الأسواق مؤسسات جامعة لكل مناحي الحياة من دين واقتصاد وتبادل تجاري وثقافي وغيرها وكانت متواجدة بكثرة في الأندلس.

III-2-ج-المترل:

يعد المترل مدرسة تعليمة لها أثر كبير وهو مرتبط بالتعليم بصفة كبيرة وقيل فيه:"كان المنزل مؤسسة تثقيفية تعليمية ذات تأثير كبير، وارتبط بالتعليم أكثر من أي شيء آخر حيث يخصص المعلم

1- م.ن: ص 279.

2- محمد عبد الحميد عيسى:م.س ،ص 264-265.

غرفة لتدريس الطلبة، وهو ما نسميه الآن بالدروس الخصوصية، كما كانت سطوح المنازل أماكن مفضلة للتدريس، خاصة عندما يكون الجو ملائما".[1]

كما أعطيت الدروس في البيوت بأشكال مختلفة حسب قدرة المعلم وكان الطلبة يدرسون في الحصيرة التي تفرش لهم، وهذا دليل على مساهمة المنزل في نشر الثقافة رغم قلة إمكانياته وصغر حجمه.

III-3-الكتب والمكتبات : وقد تمثلا في ما يلي :

III-3-1-الكتب :

يعتبر الكتاب بوتقة حافظة لجميع الحضارات والديانات ويمثل بما يحويه من ثمرات الفكر الإنساني وسيلة من وسائل العلم والمعرفة في كل العصور والمجتمعات لذا من الطبيعي النظر لأهميته العظمى في ازدهار الحياة الثقافية.

"لقد أعطت الأندلس للكتاب المنزلة اللائقة في خضم النشاط العلمي الذي عاشته ومارسته وتعتبر فترة ملوك الطوائف من أخصب الفترات لنمو الكتاب وانتشاره نتيجة لإزدهار وتعدد المراكز الثقافية، وحدوث تنافس فيما بينهم، فبعد ما كانت قرطبة وأهلها إشتد الناس اهتماما وإعتناءا بالكتب صارت لا تقوى على منافسة الحواضر الجديدة في هذه الظاهرة، ومن الأدلة التي تثبت أهمية الكتاب أنه يشترط في الذي يتولى الرياسة أن يكون في بيته خزانة كتب."[2] كان إذن للكتاب مكانة عظمى في حياة الأندلسيين حتى أنه أصبح من شروط اعتلاء الرئاسة ومن الطبيعي أن يكون لهذا الإهتمام بالكتب والتنافس الحاد عليها عوامل يمكن حصرها في:" ظهور طبقة الوراقين التي انتشرت في المدن الكبرى الأندلسية كقرطبة وأشبيلية وغرناطة ومالطة، وتعني الوراقة بمفهومها الحديث النشر بعناصرها المختلفة.

1- المقري: م.س، ج1، ص 462- 463.

2- المقري:م.س، ج1، ص 462-463.

الرغبة الشديدة عند الأندلسيين في تعلم القراءة والكتابة التي كانت تدفع عجلة التأليف وتمدها بأسباب القوة والانطلاق"[1] نرى من هذا أن الظروف كانت مهيأة لإنتاج الكتب سواء من ظروف مادية أي بانتشار الوراقة أو من ناحية الرغبة في تعلم القراءة وهذا ما دفع صيرورة الحياة الثقافية كما كان جمع الكتب أثر عليها أيضا "إذ أن ثلة من الأندلسيين كالأمراء والعلماء إلى جانب ترحيبهم بأهل العلم عملوا على جمع الكتب النادرة والحصول عليها من مصادرها وإلى جانب هذا نجد الاهتمام بالغات الأعجمية يعد عاملا أساسيا مساهما في الفعل الثقافي، ذلك أن اللغة هي المجال الذي يصاغ فيه فكر الأمة وعبقريتها".[1] كما رأينا سابقا اهتمام الأمراء بالعلم والعلماء نجد أيضا اهتمامهم امتد إلى جمع نوادر الكتب وهذا يدل على مدى وعيهم الثقافي وحبهم للعلم وسعيهم لإثراء الحياة الثقافية بشتى الطرق .

أما عن عدد الكتب التي كانت متوفرة في الأندلس، فمن الصعب الحصول على أرقام يقينية ويرجع الباحث حامد الشافعي دياب ذلك إلى عدم وجود عمل بيبلوغرافي واحد يتعرض لقضية الكتب، من حيث ضبطها والتعريف بها حتى أن أين القديم في فهرسته لم يتكلم أو يشير إلى مؤلف أندلسي.[2]

بناء على ما سبق فإن ظاهرة الإقبال على الكتب العلمية وحرصهم عليها كما ونوعا، وهذا حيز دليل على ما اتصف به المجتمع الأندلسي من رقي علمي وازدهار حضاري كبير .

III-2-3-المكتبات:

1- حامد الشافعي دياب:الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1998، ص 31.

2- م.ن: ص 32.

عندما أخذت الحركة العلمية في الأندلس بالنمو والانتشار زاد عدد المكتبات فظهرت أشكالا وأنواعا بناء للحركة الثقافية، وقد ظهرت في الأندلس الأنواع الآتية:

III-2-3-أ-مكتبات المساجد أو الجوامع:

وهذا النوع بدأ بتشكل في العهد الأموي واتسع نشاطه خاصة وأن المسجد كان مؤسسة ثقافية دينية لتقويم السلوك لذلك فلا نعجب أن هذا الدور ساهم في تأسيس إرث المكتبة ومن أشهر مكتبات هذا النوع: مكتبة جامع قرطبة، وجامع طليطلة اللتان تميزتا بالغناء والوفرة في حسب العدد والتصنيف.

III-2-3-ب-المكتبات الخاصة:

وهي تلك المكتبات التي أنشأت من طرف أفراد معينين لفائدتهم ومصلحتهم الشخصية ومن بين الذين اشتهروا بهذا النوع: ابن فطيس الذي عرف عنه الشغف الشديد بكتب العلم والسعي إلى اقتنائها حتى أن الأعداد الهائلة التي احتوتها مكتبته اجتمع أهل قرطبة لبيعها مدة عام كاملا. وكان يسمع بدخول هذه المكتبات للطلبة والمهتمين للإطلاع والتثقيف[1].وهناك نوع آخر من المكتبات وتعرف بـ:

III-2-3-ب- المكتبات العامة:

تميز هذا النوع من هذه المكتبات بالقلة من حيث العدد والدور المحدود في مجال الازدهار الثقافة والمطالعة، خاصة إذا عرفنا أن عصر الطوائف مارس ما يسمى في وقتنا بالرأسمالية في المكتبة فهي حكر على السلطة ومن ثمة فإن دورها- بالمقارنة مع المكتبات الخاصة- ضعيف وشبه منعدم لأن الكتب النفسية والتصنيف المفيدة لا يمكن وضعها في متناول العامة كانت للمبتدئين، نظرا لشعرها من التأليف، وهذا لا يغني إلغاء دورها بل بالعكس كانت هذه المكتبات موجودة ومنتشرة في بعض أنحاء الأندلس ولكنها لا ترتقي إلى مستوى المكتبات الخاصة[2].

1-حامد الشافعي دياب: م.س، ص 103.

2- حامد الشافعي دياب:م.س، ص 128- 129.

شكلت هذه المكتبات بأنواعها زخما ثقافيا كبيرا فكانت تقدم خدمات مكتبية من استعارات وغيرها، حيث كان ارتيادها مباحا ومسرا. أما الكتب النادرة فكانت صعبة المنال والاستعارة ويدخل في ذلك أيضا سمعة المستعير ومكانته الاجتماعية والثقافية والعلمية، وذلك حفاظا على الموروث الثقافي.

وما يمكننا قوله في الأخير أن بلاد الأندلس شهدت تنوعا حضاريا كبير عاداتها وتقاليدها التي كانت سائدة بين أفراد المجتمع ورأينا كذلك الاحترام الذي كان موجودا للديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية. فهي ليست ببعيدة عن العادات التي هي سائدة عند العرب الآن, كما كان للتنوع الثقافي أيضا نصيبه نظرا للعوامل التي شجعت على ذلك وكثرة المساجد والمكتبات وغيرها من العوامل.

I– نظرة المجتمع للمرأة الأندلسية :

لطالما تحدث الناس عن المرأة في الشعر ،منهم من تحدث عن رمزيتها ، ووضعها الاجتماعي وواقعيتها ... لكننا نتناول الحديث عنها في هذا البحث وفقا لما تمليه معالجات المنهج الأنثروبولوجي بغية الكشف عن وضعها في المجتمع ، ونظرة الرجل إليها والتي تقاوم في الغالب على اعتبار أنوثتها فسنحاول إيضاح مدى حضورها في المجتمع وتأثرها به وتأثيرها عليه.

I–1–النظرة المادية : و يمكننا تقسيمها إلى :

I–1–أ–الجسد :

بفقدان الفقهاء نفوذهم في عصر الطوائف فتح المجال أمام الأندلسيين لإعلان مكبوتاتهم فلم يكن هذا بعيدا عن المرأة بأن تبادر في ظروف كهذه إلى اغتنام الفرصة للإعلان هي الأخرى عن شهواتها ، فراجت مجالس اللهو ، و قد طفت عليها كل أنواع الفساد ، من مغريات الدنيا التي طورتها الحضارة الأندلسية، و هذا ما يعكس لنا رؤية الشاعر الأندلسي للمرأة ، و مدى تأثير ذلك في رسم صورتها و ملامحها الدقيقة و من خلال شعر بعض الشعراء يمكننا معرفة النظرة المادية أو الجسدية للمرأة الأندلسية .

إن المطلع على شعر " **ابن زقاق البلنسي** " يجده يصور لنا المرأة تصويرا ماديا صريحا آتيا على كل أعضاءها و ذلك في قوله :

ومُرْتجِهُ الأَعْطَافُ أَمَّا قِوَامُهَا فَلَدْنٌ وَ أَمّا رِدْ فُهَا فَرَدّاحُ

أَلمتْ فَباتَ اللّيْلُ مِن قُرْبِهَا يَطِيرُ وَ لاَ غَيْرَ السَّرورِ جَناحُ

و بِتُّ وَ قَدْ زارَتْ بأَنْعَمِ ليلة يُعَانقنيِ حتّى الصَّباح صَباحُ

عَلى عَاتِقي مِنْ سَاعِدَيها حَمائِلٌ وَفي خَصْرِها مِنْ سَاعِدي وِشَاحُ[1]

لقد صوّر لنا في هذه المقطوعة مفاتن محبوبته ، من سواعد و خصر و كيف أنها قضت الليلة معه فوصفه لها كان صريحا جريئا ، من غير احتشام و يقول فيها أيضا عند زيارتها له ليلا :

وَآنِسةٌ زارَتْ مَعَ اللّيْلِ مَضْجَعي فَعَانقْتُ غُصْنَ البَانِ إلَى الفَجرِ[2]

هذا البيت أيضا صور لنا حالة المجون التي عاشتها بعض نسوة الأندلس و هذا راجع إلى حياة المجون التي كسرت قواعد العفة و الحياء في المجتمع الأندلسي.

تميزت أيضا المرأة الأندلسية بالجمال و من بين المناطق التي أثارت كثيرا شعراء الأندلس هي الرّدف و الخصر فكانت أكبر مواضع جمال الجسد الأنثوي عندهم ، و ما يجدر بأن نشير إليه أن الرؤية الحسية المهيمنة للمرأة كجسد ، ليست رؤية خاصة بالشعراء الأندلسيين ، بقدر ما نجد أصولها ترجع إلى وضعيتها داخل المجتمع ، و إلى البنية الثقافية بصفة عامة و تتفاوت النظرة إليهم حسب أنماطهن ، و وضعهن داخل المجتمع الأندلسي ، فالمرأة الجارية ، أو امرأة المجلس و ساقية الخمر لا يرى فيها الشاعر سوى المفاتن الجسدية .

ثم إن الأندلس كان لها خط كبير من الجمال البشري ، كحظ بيئتها من الجمال الطبيعي مما استدعى أنظار الشعراء، و نبه عواطفهم فقالوا في الغزل و التشبيب بالنساء ، وصفوا الجمال الفاتن الذي ملك أعنة القلوب ، و من أهم المعايير الجمالية التي اعتمد عليها الأندلسيون في شعرهم وهي لا تخرج عن التقليدي، كالوجه ، لأنه قبلة الأنضار ، العيون ، الفم و الشفاه و الأسنان العنق... و غيرها من الأوصاف الجسدية التي لها بالغ الأثر في نفس الرجل فهي تحرك مشاعره تجاه هذا الجسد المغري.

و كانت عيون المرأة أكثر مواضع الجمال التي أهتم بها الرجل على نحو ما نجد عند " **ابن حزم** "

1 – محمد صبحي : صورة المرأة في الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف و المرابطين ، عالم الكتب الحديث ، ط2،2005 ، ص 124.

2 – م.ن : ص 121.

سَبى قَلبيِ بألحْاظِ مِراضٌ وقُدَّ الغُصنُ مِنْ حُسنِ القِوامِ [1]

و من وصفهم للفم يقول " **ابن حميدس** " :

فَالقِوامِ الغُصنُ و الرِّدْفُ النَّقا والأُقاحُ الثَّغرِ وَ الطِّلُ الرَّضابُ[2]

يصور لنا هنا مدى إعجابه بقوام و فم المرأة و شغفه إليهم فتركز على الجوانب الجسدية أكثر و يقول أيضا في هذا الوضع " **ابن خفاجة** " :

وَ غازَلَنا جَفنَ هُناكَ كَنَرجسَةٍ وَمُبْتسِمٍ للأُقحُوَانِ شَنيبٌ [3]

و من مقاييس الجمال طول الجسد أو العنق ، فالطول فيه من دلائل الجمال و طول العنق رمز للإفتخار، يقول في ذلك " **ابن خفاجة** " :

هِي الظَّبْيُ طَرفًا أحْوَرًا و مُلاحَظًا مِرَاضا و جِيدًا أَتلُعًا وَ نِفارًا

أفاضَتْ عَلى عَطْفِ القَضيبِ مَلاءَةً وَلَفَّتْ عَلى ظَهرِ الكَثِيبِ إزارًا

وَ حَيثُ بَأسَ إثرَ كَأسٍ تُدِيرهَا فَقَبلَتْ جيدًا مِنهُما و اعتذارًا[4]

أمعن ابن خفاجة في تصويره للمرأة من خلال فيض مشاعره على جمالها ، و من مظاهر الجمال الحسي للمرأة ، الحركة الناعمة ، و المشية الساحرة ، أي ما يعرف بالرشاقة يقول " **ابن حزم**"

كَأنَّها حِينَ تخطُو في تَأوُّدِها قَضِيبُ نَرْجسةٍ في الرَّوضِ مَيَّاسٌ

كَأنّما خَطْوُها في قَلبِ عَاشِقِها فَفيهِ مِنْ وَقفِها خَطَرٌ وَ وسْواسٌ

كَأنَّما مَشيَتَها مَشْيُ الحَمامةِ لاَ كَدٌّ يَعابُ و لا بَطءٌ بِه بَاسٌ[1]

1- ابن حزم : الرسائل تح ، إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ، ط 2 ، ج 1 ، ص 153.

2- محمد صبحي : م ، س ، ص 74.

3- م. ن ، ص 75.

4 - ابن حزم : م.س، ج 1 ، ص 183.

يمكننا من خلال هذه المقطوعة أن نرى خطوات المرأة الأندلسية المتأنقة ، فهي حريصة على جمالها و جذبها للآخر من حيث ترشقها في مشيها لا هو بطيء و لا هو سريع يفقدها أنوثتها و قد أحب الشعراء الذين يمثلون رجال الأندلس ، المرأة البيضاء المترفة ، الحمراء الخد ، الطويلة القدّ و القامة المستقيمة ... و غيرها.

و هناك أبيات تبرز الصورة الماجنة و تكشف عن نظره الرجل للمرأة كوسيلة للهو و المتعة و الترفيه عن النفس و إشباع الرغبات.فيقول أحد الشعراء :

فَالوَردُ وَخْبة خُودٍ بَيْضاء ، غَرّاء ، بضه

كَما البَنفْسَجِ خَدٌ أبقَى بِه الهَشْمُ عَضهُ[2]

و كثير من الشعراء اعتمدوا على رسم صور خاطفة و لمحات جزئية للجمال الجسدي في إطار رؤية لهوية ، و طربية ، و نمى هذا الاتجاه عند **المعتمدين عباد و ابن الشهيد ، و ابن خفاجة**... فقد أسرفوا في الجمال الجسدي، و قد وصف **لسان الدين بن الخطيب** جمال المرأة وصفا رائعا فتحدث عن رشاقة قدّها و فتور طرفها و أثرها في القلوب و إعجابه بنضارة خديها و لونها الأبيض النقي الممزوج بالحمرة ، فقال فيها :

يَابانةٌ تَلوِي مَعاطِفها الضَّبا للحُسنِ بينَ حَدائق و رِياضٌ

وَلّدتْ أشْكالُ الجَمالِ بِوَخْبة ألَّفت فيهَا حُمْرة بِبيَاض

وَأصْبَت لِي قلبًا صَحيحًا سَالمًا عَمْدًا يَا جفان لَديكَ مَرَاض[3]

---

1 – ابن حزم : م. س، ج 1 ، ص 184.

2– إحسان عباس: الشعر الأندلسي و الأخلاق ،دار المعرفة، تونس ، 1976 ، ص 143.

3– ابن فكرون :الديوان، تح : محمد بن شريفة ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ،1982 ص 259.

فهو هنا قد أورد لنا أوصاف للمرأة الأندلسية في صورة تمثال جمالي ، بعيدا عن الفحش فهو هنا ينظر للمرأة نظرة حسية جمالية كون الشاعر الأندلسي كان يرغب في المرأة رغبة سريعة للهو وقضاء الليالي فقط.ونالت حظا وافرا من الغزل و من الشعراء الذين تغزلو بها **"ابن فكرون"**:

أيْنَ لَيلٌ نَعمَتْ فيه بِلَيلِي وَ عَلَيْنا من النُّجومِ رَقيبٌ

فَهِي تَحكِيهِ إذْ يَرُوقُ جمَالاً زَهرَةً أو يمَيلُ مِنهُ قَضيبٌ

مَنطِقَ لَيْنٍ و عَينُ كَحِيلٍ و قِوامُ لَدُن وَ ثَغرِ شَنِيبٌ[1]

ينقل لنا هذا الشاعر أوصافا عديدة لأعضاء المرأة و محاسنها، و هذه الأوصاف مستوحاة من أغصان الطبيعة، فيتحدث عن لين قوامها، و جمال عينها و عذوبة ثغرها و سلامة أسنانها فحسبه المرأة مكتملة حسنا و جمالا.

وعلى أساس هذه الأوصاف المختلفة للرجل تجاه المرأة يمكننا أن نقول بأن نظرته لها كانت نظرة مادية جسدية أكثر من حسية كون هذه الأشعار كانت متجهة معظمها للجواري و نسوة الخمر و أمثالهم فكان ما يرى فيها الرجل سوى جمال جسدها الخارجي في غنى عن جمالها الروحي لأنها ليست محبوبة : فالمحبوبة كانت من طبقة أرقى منهن.

I-1-ب-لباسها و زينتها في شعر الأندلسيين :

قد أشار شعراء هذه الفترة إلى الأصباغ التي كانت تستخدمها المرأة في زينتها من حلي و عطر و ثياب ، و فتنوا بها ، و لاسيّما أن معظمهم كانوا يعيشون في القصور ، فبدت المرأة في أشعارهم مترفة و منعمة .

و كما تحدّثنا عن زينتها و حليها فهي منعكسة في الشعر، فيقول أحد الشعراء:

1 - ابن فكرون:م.س، ص 258.

وَ نَلثِمُ مَا بينَ النُحُورِ إلى الطلى وإنْ هيَ غَصّتْ بالحُليِّ وَ القَلائِدِ[1]

و يقول أيضا :

وَلَمْ أَنسَ إذْ عانَقتُها لِوداعِنا فَخالَط دُرُّ العِقْد جَوهَر أَدْمُعِي[2]

فهنا تركيز على ما كانت تضعه المرأة في نحرها و جيدها من قلائد و عقود ثمينة، و عرض ذلك في صور جميلة ، تعكس الحضارة و البيئة المترفة للمرأة الأندلسية .

و يقول أيضا في جمالها و حليها :

بَنفْسي غَزالٌ قَدْ غَرَّتنِي لِحاظَه و تُيِّمَ قَلْبي حُسنُهُ و جَمالـهُ

هو البَدرُ والجوَزاءُ قِرطٌ مُعَجَسدٌ وَ جُنحُ اللّيالِي فَرعُهُ و دَلالُـهُ[3]

امتزج جمال المرأة بجمال حليها، فيراها غزالا يزداد جمالها بدلالها و ترفها، و بالحلي التي تزين بها، فهي تضيف إلى جمالها ألوانا جاذبة، فيتحدث الشاعر عن ما يتركه من أثر في نفسه صوت الحلي عند حركة المرأة فيقول:

وِسواسٌ حُليّكِ أَمْ هُم الرُّقَباءُ لِلْقَلبِ نَحو حَديثِهِم إِصغَـاءُ

ووَمِيضُ ثَغْرِكِ أَمْ تأَلُّقِ بَارقٍ وَشِهابُ شَنْفكِ ذَا أَمْ الجَـوزَاءُ

يابَانَة وَرَق الشّبابُ ظَلالُها وكَأَّن قَلبي بَينهَا وَرْقَـاءَ[4]

---

1 – لسان الدين بن الخطيب: الصيب و الجهام و الماضي و الكهام ، تح محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية ، الجزائر ، 1983 ص 488.

2– م.ن ، ص 231.

3 – م.ن ، ص 488.

4 – م. ن ، ص 219.

و قد طرب الشعراء القدماء كثيرا لوسوستها خاصة إذا ما ألصقت هذه الحلي بالثياب فتترك وقعا كبيرا في نفوس الرجال.

كما رأى شعراء آخرين لأن جمال الوجه و الجسم هو الجمال الحقيقي معتبرين أن الحلي صور ثانوية ، فنجد ابن خاتمة يتحدث عن مفاتن المرأة و جعلها كالصباح في إشراقها ، تضاهي الشمس ببهائها ، كما تستهويه بجمال بشرتها ، و صفاء أديمها و ثقل أردافها و جمالها هذا كما يقول ابن خاتمة يغنيها عن الحلي الصناعية ، فيقول :

حَسْنَاءٌ قَد جَلَتْ بِفَضلِ جَمَالها عَن زِينةٍ يَتَطَوّق وَ تَنْسفُ [1]

و كانت الثياب أحد الجوانب التي اهتمت بها المرأة من خلال تصاميمها و أشكالها وساهم التقدم الحضاري الذي عاشه المجتمع في توفير كل ما تحتاج إليه المرأة من أجود أنواع الأقمشة فكانت تلبس الحلل الفاخرة المزركشة و تستعمل الوشاح ، و قد صور الشعراء هذا الجانب فوصفوا الألوان و النقوش و الأشكال و مدى تأثير ذلك على نفوسهم ، فيصف أحد الشعراء ملابس صاحبته التي يغلب عليها اللون الأحمر فيقول :

تَا الله مَا أَهوَى سِوى قَمرَ مُتوَرّد الجِلبابِ و الخَدِّ[2]

و يقول :

مَن سَاحَبَ في فَجْرِه و أَصِيلِهِ حُلَلاً أَتت بِمُؤَوسِ ومَوْرد [3]

و يقول:

أَمَنِ أَحَلَّ زَورَ لِذّاتِ الوِشاحِ غَدا القَلبُ مُغرَى بِها مَسْتباحُ[1]

1- ابن خاتمة الأنصاري:الديوان،تح، محمد رضوان الداية، دار الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1982 ص 88.

2- يوسف الثالث: الديوان ، تح ، عبد الله كنون ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ج 2 ، ص 45.

3- ابن فكرون:م.س ص 181.

صور لنا ملابس المرأة بما فيها من أصباغ حضارية تكشف عن جمالها و ثرائها و دلالها و إلى جانب جمالها تهتم بزينتها و حليها و ملبسها.

و كانت تستعمل المرأة قناعا منسوجا من الذهب تسدل المرأة بعضا منه على وجهها ، إذا احتاجت إلى ذلك و يقول **ابن فكرون** فيها :

قَدْ يَتجلّى حُسنُها لَولا تَقنُعُها وَ يَتجلّى زَهرُها لَولا تَجنِيها[2]

و لابن فكرون مقطوعات كثيرة في ديوانه يصف فيها القناع الذي كانت تستعمله المرأة آنذاك منها قوله :

أَحسَن بِهِ مِنْ قِناعٍ راقِ العُيونُ جَمالاً

حَوى مِن الوَجهِ بَدرًا فَاق البُدورُ كَمالاً

مِن خَالصِ التَبرُجاَتِ صَفَاتَهُ أَنْ تَنَالا

شَمسُ الأَصِيلِ حَكّته لَوْنًا وَحُسنا وحالاً[3]

و إلى جانب جمالها و ترفها اهتمت المرأة الأندلسية بطيبها و عطرها ، فأضافت به جمالا آخر من نوع خاص يحبه الرجل و يرغب فيه فقيل فيها :

لَوْ أَعَرْت القُبولَ عُرفًا طَيبَا لَمْ يَهُبْ النّسيِم إلاَ بَليلاً[4]

---

1 – ابن فكرون: م .س ، ص 25.

2- م .ن، ص 89.

3- م .ن، ص 89.

4- م.ن، ص 238.

فالشاعر منجدب هنا إلى طيب الرائحة حتى بالغ فيها حيث يرى بأن المرأة لو أعارت رائحتها للنسيم لأصبح يتضوّع طيبا ، كما تحدث عن أثر هذه الرائحة في النفس فهي تنعشها و تحييها :

عَهْدِي بِهَا والطّيْبُ يُذكَى عُرفُهُ مِنهَا فَأحيَا النَّفْسَ إذْ حَيّاهَا[1]

اهتم الشعراء الأندلسيين إذن بجمال المرأة الحسي ، و لم يتركوا شيئا من مفاتنها إلاّ و عكسته مرآة شعرهم ، و قد ظهرت المرأة الأندلسية في مجتمعها خاصة في عصر الطوائف بصورة جديدة ومتفرّدة عن غيرها في باقي العصور فيما يخص ملبسها و زينتها ، فكانت نظرة الرجل إليها نظرة مادية محظة لم ير فيها غير وسيلة للهو و الترفيه لكن الزوجة و الأخت و الإبنة نظر لها نظرة معنوية عفيفة .[2]

I-2-أ- النظرة المعنوية:

تعد المرأة النواة المهمة في بناء المجتمع كونها معنى كبير أعدته العناية الإلهية لوظيفة سامية للغاية ، و هي حفظ النوع البشري ، و لقد تمتعت المرأة الأندلسية مكانا ساميا في حياة الرجل فقد خلّد الأندلسيون المرأة ، إذ رأو أن تأثيرها عليه يبدأ من الولادة حتى الوفاة ، فتبدأ من الأمومة إلى الحبيبة أو الزوجة، الابنة و غيرها.

I-2-ب- المرأة المفقودة:

قد اهتم بها كثيرا في المجتمع فقد رثوها كأم و حبيبة ، و رثائها هو أصدق تعبيرا عن القيمة الإنسانية و المعنوية لها ، و نجد " **ابن حميدس** " يرثى زوجته على لسان ابنه فعبر فيه عن علاقة الإبن بالأم ، و كيف له أن يصبر ، حتى و إن بكى كليهما دماً ، فقال فيها :

1- ابن فكرون : م.س ، ص 130.

2 - م.ن ، ص 138.

أَيُّ خَطبٍ عَلى قَوسِه المَوْت يَرمِي وَسِهامٌ تُصيبُ مِنه فَتُمضِـي

لَوْ بَكى نَاظِري بِصَوبِ دِمـاءٍ مَا وَفى لي الأَسَى بِحَسرةِ أَمِّـي

مَن تَوسّدْتُ في حَشَايا حَشَاها وَارْتَدى اللَّحمُ فِيه والجِلدُ عَظمي

وضَعَتْني كَرهًا كَما حمَلَتنِي وَ جَرى ثَدْيُها بِشُربي وَ طَعْمِي

شَرحَ الله صَدْرها لِي فَأشَى مَا إِليهَا أَحْضاَنُ جِسْمِي وَضمَّنِي

بِحنان كَأنَهَا فْي رْضاعِي أم شَعبٍ دَرتْ عَليهِ بِنعَـم[1]

فالشاعر هنا يرثي حبيبة بخصال جميلة على لسان ابنته ، ليعبر عن مدى حزنه لفراق الزوجة التي كانت تمثل عمود الأساس في المنزل ، سواء من ناحيته هو أو من ناحية أبناءه و أسرته عموما.

و كانت العلاقة بين الرجل و المرأة الزوجة علاقة تلاحم و صور لنا ذلك " **المعتمدبن عباد** " في تحدثه عن زوجته " **اعتماد** " قائلا :

حُبُّ اعْتِمادِ في الجَوانِحِ سَاكِنُ لاَ القَلْب ضَاقَ بِه وَلاَ هُوَ رَاحِلُ

يَا ظَبيةٌ سَلَبَتِ فُؤَادَ مُحَمـد أَولمْ يُروِعْـكَ الهَزيرُ البَاسِلُ

مَن شَكّ أَنِي هَائْم بِكَ مُغْرَمُ فَعَـلى هَوَاك لَهُ عَليَّ دَلاَئِلُ[2]

و قد تعلق الرجل الأندلسي بزوجته أيما تعلق حتى أنه لا يرى طريقا للعيش بعيدا عنها و نجد " **ابن حزم** " يقول:

فَتَاة عُدِمَتْ العَيْشَ إلاَّ بِقُرْبِهَا فَهَلْ في ابْتِغَاء العَيْشِ ويحَك مِنْ خَرج[1]

1- محمد صبحي : م. س ، ص 54-55.

2- م.ن، ص 61.

فهـذا دليـل علـى المكانـة السـامية للزوجـة في المجتمـع الأندلسـي حـتى أنّ الرجـل تنعـدم حياتـه بغيابها عنه ، و أشد الشعر حزنا على الزوجة ما قاله" **الأعمى الطليطلي** " الذي صوّر لنا من خلال رثائه لزوجته و بكائها عليها إنما ينم ذلك على حزن بليغ و مكانة عظيمة لها في قلبه و حياته فيقول:

وَ نَئِبتُ ذَاكَ الوَجهِ غَيْرهُ البَلَى عَلَى قُرْبِ عَهْدِ بالطّلقةِ وَ البِشْر

بَكَيتُ عَليْه بالدُّموعِ و لو أبَتِ بَكَيْت عَلَيه بالتَجلّد و الصَّبر

فَلْيعتهم وَارو ذَكاءَ مَكانَةً وَلَو عَرفْتُ في أوْجهِ الأَنْجم الزَّهْر

فَلَيْتهم وَاروه بَينَ جَوَانِحِي عَلى فَيْضِ دَمْي وَاِحْتِدامِ لِضَبي صَدْرِي

خَدِي حَدّثِيني هَلْ أَطَقْتِ عَلى النَّوى أُحَدَثُكِ أَنِّي قَدْ ضَعُفتُ عن الصَّبْرِ

وَمَنْ لِي بِعَيْنِ تَحْمَلُ الدّمع كلُّهُ فَأُبْكِيك وَحْدِي لاَ أُقَرْ وَلاَ أَدْرِي[2]

غير بعيد عن هذه المعاني الأليمة ، نجد الشاعر " ابن حميدس " الذي رثى زوجته " جوهرة " الـتي غرقـت في المركـب الـذي عطـب بـه في خروجـه مـن الأنـدلس إلى إفريقيـة ، فتبـين فضـلها و كرمها و تقواها و تظهر صورة المرأة الزوجة من خلال التفجع عليها ورثائها فيقول :

أَيَارَ شَاقَةَ غُصْنِ البَانِ ما هَصْـرِكِ وَ يَتأَلّف نَظْمِ الشّملِ مِنَ نَشْـرِكَ

لاَ صَبْرَ عَنكِ وَكَيفَ الصّبرُ عَنْكِ وقَدْ طِواكَ عَنِ عَني المُوخُ الذِّي نَشَرِكِ

هَلْ وَاصِلِي مِنكَ إلاَّ طَيْفِ مِيتَة تَهْدِي لِعَيْني مِنْ ذَاكَ السُّكُون حِراكِ

أُعَانقُ القَبْر شَوقَا وَ هُو مُشْتمِلٌ عَلَيْكَ لَوْ كُنتَ فِيه عَالِمَا خَبْرُكَ

---

1 – ابن حزم : م.س، ج 1 ، ص 110.

2 – محمد صبحي ، م .س ، ص 160.

وَدَدْتُ يَا نُورَ عَني لَوْ وَقَى بَصَرِي جَنَادِلاً وَ تُرَابًا لاَصِقًا بِشْـرِكَ

أَقُولُ لِلْبَحرِ إِذْ أَغْشِيتَهُ نَظَرِي مَا كَدْرَ العَيْشِ إلاَّ شَرْبُها كَـدْرَكِ[1]

يعُـد الشـاعر هنـا خصـال زوجتـة و ولعـه لفراقهـا و هـذا أيضـا يعكـس لنـا المكانـة الإنسـانية و الاجتماعية للمرأة الأندلسية و من عادات وتقاليد الأندلسيين في تقديرهم للمرأة كأخت و ذلك بتزويجها ممن يصونها و يحفظ كرامتها .

و من أبهى صور المودة بين الزوجين ، و هي أن يهنئ الرجل المرأة بعد آلام الولادة على سلامتها بعدما أنجبت له ذرية تملأ الحياة و تخلفه من وراءه فقيل فيما عند " **عبيد الله بن محمد الرشيد** " قائلا :

أُهَنيكِ بَلْ نَفْسِي أهَنِي فَإِنَني بَلَغَتْ الذِّي كَانَ اِقْتْراحِي عَلَى الدَّهْرِ

خَلاَصَكَ مِنْ أَيْدِي المُنُون وغُرَة بَدَتْ للْمُعْلِي مِثلَ دَائرَة البَدْرِ [2]

ففي هذه الأبيات إشارة و دليل على وفاء الرجل الأندلسي و حبه للمرأة التي لم تبخل في إسعاده ، و إذن فلا غرابة في إخلاصه لها .

فمن صورها أيضا أنها كانت امرأة مخلصة و محبة للرجل ، و هناك من الرجال من رأو أن المتعة الحقيقية في المرأة و حضورها ، و أن يكون اللقاء بها بدافع الحب و العشق ، أولا دون تغليب المتعة الشهوانية ، إلا أن الشاعر يعف عن قضاء شهوته ، و يرى أنها ليست مطلبه و يصور لنا هذا "**ابن خفاجة** " :

فَإِنِّني وَ العَفَافَ مِنْ شِيَمي آبا الدُّنَايا وَ أَعْشِقُ الحُسْنَا[3]

1- محمد صبحي: م.س ، ص 159 .

2-إحسان عباس :، تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ،بيروت ، لبنان ، ص 241.

3 – ابن خفاجة : م.س ، ص **288**.

و يصوّر هنا " **الأعمى الطليطلي** " أنها أجمل صورة و يراها أنها لؤلؤة :

جِسْمٌ يَرَاهُ الإِلَه حِينَ صُوَرِه مِن مَاء لُؤلَؤةٍ وَالنَّاسُ مِنْ طَيْنِ[1]

فهو بهذا لا يعتبرها من طين البشر بل هي ماء لؤلؤ ، و في تصويره هذا نوع من القداسة للمرأة الأندلسية .

و نظرا لما تمتعت به المرأة آنذاك من نفوذ واسع و مكانة مرموقة ، و سلطة كبيرة لم تعهدها عصور الحكم الإسلامي في الأندلس فقد مدحت كثيرا في خصالها التي ميزتها عن غيرها و مكنتها من احتجاز مكانة اجتماعية فها هو "**الأعمى التطليطلي** " يعد خصال حواء زوجة بن أبي بكر و مطلعها :

يَا رُبُعَ ناجِيةٍ أنْهَلتْ بِكَ السُّحُبُ أَمَا تَرَى كَيْفَ ثَابَتْ دُونَكَ النّوب[2]

و قد طرق الشاعر في الممدوحة أول صفة و أهمها : و هي فضيلة الكرم ، لأنها أكبر الفضائل ، بوصفها مظهرا من مظاهر القوة و السيادة ، ثم ينقل لنا كرمها و سخائها ، و تميزها بالعطاء ، و بين قدرها العالي الذي يفوق قدر الملوك أنفسهم ، و يذكر ما حازت عليه من سيادة و شرف و الإحسان إلى الرعية إلى درجة أن عمّ فضلها على المجتمع أجمع فيقول فيها :

دُنْيَا وَلَا تَرَفٌ دِيْنٍ ، وَلَا قَشْفٌ مِلْكٌ وَلَا شَرَفٌ دُرَكٍ وَلَا طَلَبُ

بَرٌّ وَ لَا سَقَمٌ عَيْشٍ وَلَا هَرَمٌ جَدٌّ وَلَا نَصَبٌ وَرَدٌ وَلَا قُرَبٌ

مَليكَةٌ لَا يُوَازِي قَدْرُهَا مِلْكٌ كَالشَّمْسِ تَصْفَرُ عَنْ مِقْدَارِهَا الشُّهُبُ

ولَاكَ أَبْهَجُ فَخْرٍ تَفْخَرِيْنَ بِهِ إِذْا اِنْتَدَى لِلْفَخَّارِ السَادَةُ النُّخَبُ

---

1 – ابن زيدون: م.س ، ص 144.

2 – سمية الدجالي : القصيدة العربية الأندلسية الغزلية ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، **1997** ، ص **90**.

فَدْعَمٌ بِرَّكٍ أَهَلْ اَلأَرْضُ قَاطِبَةٌ فَكَيْفَ أُخْرِجَ عَنْهُ جَارَكَ الجُنُبُ[1]

يصوّر لنا الشاعر مدى كرم و سخاء المرأة الأندلسية و حبها للغير حتى أنّ خيرها عمّ الناس أجمعين و هذا ما أكسبها مكانة اجتماعية مرموقة فتفرض بهذا على الرجل أن ينظر لها نظرة تقدير و احترام .

و في أبيات أخرى " **لابن خفاجة** " الذي يمدح المرأة و يسرد صفاتها الحميدة كالأمانة و الديانة ، و التقى ، و الخلق الأشرف و الطريق الأقوم ، و هي جليلة القدر ، راجحة العقل فيقول فيها :

وَ كَفَى اِحْتِمَاءُ مَكَانَةٍ وَ صِيَانَةَ أَنّي عَلَقْتُ بِذِمَّةٍ مِنْ مَرْيَمَ

ذَاتَ الأَمَانَةِ وَ الدِيَّانَةُ وَ التُّقَى وَالخَلْقُ الأَشْرَفُ وَالطَرِيقُ الأَقْوَمُ

ذَاتِ الجَلَالَةِ وَالجَزَالَةِ وَالنُّهَي وَ البَيْتُ الأَرْفَعُ وَ النَّصَابِ الأَكْرَمِ

مِنْ بَيْتِ عِزّ حَيْثُ لَا تَّلْقَى بِغَيْ رِ مُسَوَّدٍ وَ مُعَظَّمَ

مَشْهُورَةٌ فِي الفَضْلِ قُدَمًا وَالنُّهَى وَ النُبْلِ شُهْرَةً عُرَّةٍ فِي أَدْهَمِ

جَاءَتْ بِهَا الغَرُّ الكِرَامِ كَرِيمَةً لَا تَشْرَئِبُّ إِلَى بَيَاضِ الدَّرْهَمِ

جُودٌ تَنُوءُ بِهِ الرِّكَابُ عَلَى السُّرَى مِنْ مُنْجِدٍ أَرْجَ الرِّيَاحُ وَ مُتْهِم[2]

هذه صورة أخرى من الصور الكثيرة للمرأة الأندلسية و التي تبين مدى تعزز مكانتها في المجتمع .

1- ابن حزم : م.س ، ج 1 ، ص 230.

2- ابن خفاجة :م.س ، ص 214.

و كما تمتعت المرأة الأندلسية بمكانة الحبيبة و الزوجة و الأم و الابنة مكانة عالية و حجزت لنفسها مكانا واسعا في قلوب الرجال و المجتمع فقد عاشت المرأة أيضا مظاهر حياة قاسية من سخرية و استهزاء و انتفاضة عليها و إنقاص من شأنها خاصة عند الفراق بين الزوج و الزوجة و هذا كله ناتج عن غيرته عنها و خير مثال عن هذه الصورة المتواجدة في كل المجتمعات هو ما قاله **ابن زيدون** في محبوبته ولادة يحاول أن يرميها في عفتها فوصفها بأنها نهاية الطعام فيقول :

عَيَّرْتُمونَا قَد صَار يَخلفُنَا فَيمَنْ لِحُبّ ومَا فِي ذَاك مِنْ عَارٍ

أَكُل شَهيّ أصَبْنا مِن أطَابِيه بَعْضا و بَعْضًا صَفَحْنَا عَنْه لِلْغَارِ[1]

و يقول فيها أيضا :

لَيْسَ مِنكَ الهَوى ولَا أنْتَ فِيه أهْبِطي أنْتِ مِن قَومِ موسَى[2]

وهذا هنا يقذفها في عرضها و شرفها بعد أن كانت هي الحبيبة و يتهمها بأنها تريد أكثر من خليل.

و نجد أيضا **ابن سارة الشنتيري** فقد عاب زوجته بعد أن طلقها فيثني على الزمان الذي أسدى إليه هذا الصنيع ، و يرميها بالنفاق و الخبث ، حتى أنه يرى بأنها أصبحت ذئبة فيقول فيها.

أمَّا الزَّمَان فَرقَّ لِي مِنْ طَلَّةٍ كَانَت كَطِل ذِي بِسَيْفِ نِفَاقِهاَ

الذِّئْبَة الطَّلسَاء عِنْد نِعاَقِها وَ الحيَّة الرَّقطَاءُ عِنْد عِنَاقِهَا[3]

1 -ابن زيدون : م.س، ص 196.

2- م .ن ، ص 195.

3 -أشرف محمود : قصيدة المديح في الأندلس عصر الطوائف ، دار المعرفة الجامعية ، السويس ،مصر، 1998 ، ص 129.

فهذا إنقاص كبير من شأن المرأة و هذا يدلنا على صورة أخرى من صور الحياة التي مرت بها المرأة الأندلسية داخل مجتمعها ، و نجد كذلك **"ابن خفاجة"** يصور لنا حالة النساء اللائي يستسرن بالزينة و الحلي لإخفاء أخلاقهن و طباعهن الرديئة الشاذة فيقول :

ألاَ بَكَى الدُّرَّ فَوْقَ جَالِيـة حَلَّى بِهَا العِقْد شَرّ مَا حلّى

يَرَى بِها مَا يَمُرّ مِن حَلْـقِ مخبّأ تَحْتَ مَنِظر الجَلـى

قَدْ رَاقَ مَرأى وَشَاء مُخْتَبرا فَهَلْ تَرَى أَثْمرَت بِها دفلى[1]

وهذا يعني أن المرأة الأندلسية مثلما كانت مرأة شريفة كانت هناك مجموعة من النسوة يتسترن وراء زينتهن لكن أفعالهن أفعال قبيحة تخدش بحياء و مكانة المرأة المرموقة التي تبوأتها من مكانتها كأم تمثـل رمـزا للحنـان و الطهـارة و العفـة و الزوجـة المحافظـة علـى شـرف زوجهـا و حرمـة منزلهـا و مكانته في المجتمع.

I-2-ج- فراق الرجل للمرأة :

كانـت المرأة الأندلسية لها تـأثير على الرجـل حتى في غيابه عنهـا فيستحضـر طيـف زوجتـه و نجد الشاعر **الرمادي** عندما أودع بالسجن فكان أول ما يتذكر زوجته و شريكة حياته ، فذرف الدموع بسببها ، و ألهبت نار الشوق قلبه ، فيقول :

أَعَيْنِي إنْ كانَت لِدَمْعي فَضْلَة تُثَبِتُ صَبْرِي شَاعة فَتدْفُقِي

فَلَوسَاعَدتُ قَالَت أمِن قِلَّة الأسَى تَنّقَت دُمُوعِي أمْ مِنَ البَحْرِ تَسْتفِي

وَقَالت تَظُن الدَّهْر يَجْمع بَيْنَنَا فَقُلْتُ لَها مَنْ لِي بِظَنِّ مُحَقَّـقِ

وَ لَكِنَنِي فِيمَا زَجَرْتِ بِمُقبِلة زَجَرت اجْتِماع الشّمْلِ بَعد التَفرُّقِ

1 -ابن خفاجة: م.س، ص 194.

فَقَدْ كَانَت الأشْعَار فِي مِثْل بُعْدِنا فَلَمَّا الْتَقت بِالطَّيفِ قَالَت سَنَلْتَقِي

أَبَاكِية يَومًا وَ لَم يَأتِي وَقْتَـ سَيُنفذ قَبْل اليَوْمِ دَمْعَكِ فَارْفقِي[1]

فصوَّر لنا حالة الأسى و الألم التي ألمت به و بزوجته بِفراقِه عنهَا و هذا دَليْل عَلى وَفاء الزَّوج لِزوجَته وَ الزَّوجَة لزوجِها وهَا هي خصلة أُخرى من خِصال المرأة الأندلسية و هِي الوفاء و الإخلاص لربّ البيْت .

و عندما أُودِع **ابن زيدون** السجن ، نظم أبياتا يدعو فيها أمّه أن ترفق بنفسها، و تكفَّ عن البكاء بسبب سجنه ، لأنها ليست أوَّل من تثكل بسجن وَلَدها فيقول :

أَقِلِّي بُكَاء لَسْتِ أوَّل حُرَّة طَوت بِأسَى كشحا عَلى مضَض الثَّكْلِ

و فِي "أُمّ مُوسَى"عِبرة إذْ رمَت بِه إلَى اليَمِّ فِي التَّابُوتِ فَاعْتَبِري واسْلِي[2]

فالأمّ أيضا لها مكانة سامية في قلب الرّجل ، بل و تمثل زينة الحياة و قد حاولنا أن نبين صورة المرأة و لو بجزء قليل سواء من خلال النظرة إليها كنظرة مادية و اعتبارها أداة لهو و سمر و قضاء لأمتع الأوقات ، فلم يرى فيها الرجل سوى جسدها و زينتها و كل ما هو ظاهري و لم يعر اهتمام لمشاعرها أي اعتبار أو مكانة ، لكن هذه النظرة تختلف مع الأم التي تحتل حيزا واسعا و كانت النظرة إليها نظرة إجلال فنظر لها الرجل نظرة معنوية حتى أنهم لم يكثروا من الحديث عن المرأة الزوجة أو الابنة حفاظا على حرمتهن و عليه فالمرأة في أبهى صورة في المجتمع الأندلسي.

1- نفخ الطيب: م.س ، ج 1 ، ص 187.

2ا-ابن زيدون: م. س ، ص 264.

II- المرأة في الشعر الأندلسي :

II-1- المرأة / الزوجة في المجتمع الأندلسي :

إن الـزواج مـن أكـبر المظـاهر الاجتماعيـة في أي مجتمـع و يعـد ميـدانا خصـبا للدراسـة الأنثروبولوجية فسنتطرق إلى بيان مكانة العلاقة الزوجية كون الإسلام قد قدستها ، و أعطى للزوجة مرتبـة خاصـة لم تمنح لهـا مـن قبـل في الـديانات الأخـرى و كـذلك في الأنظمـة الحديثـة الـتي تـدعي المحافظة على حقوق المرأة ، وورد في القرآن الكريم عن هذه العلاقة كقوله تعالى :

" هُـوَ الَّـذِي خَلَقَكُـمْ مِـنْ نَفْـسٍ وَاحِـدَةٍ وَجَعَـلَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا لِيَسْـكُنَ إِلَيْهَـا فَلَمَّـا تَغَشَّـاهَا حَمَلَـتْ حَمْـلًا خَفِيفًـا فَمـرَّتْ بِـهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ".[1]

فالرجـل و المـرأة مـن معـدن واحـد لا تبـاين بينهمـا ، و للمـرأة الحـق في الحـب و الـزواج و لم تكن الزوجة في المجتمع الأندلسي مختلفة عن غيرها فكانت تمارس حقوقها في الحياة كالإنجاب و الاهتمام بها من قبل الزوج و تقديرها و مدها بالحنان و العطف ، غير أن الرجال في الأندلس لم يلتزموا بحب المرأة ذات الجمال الأندلسي ، فهناك من هام بحب المسيحية أو الشقراء الإسبانية متحـدين كـل التقاليـد الـتي تحكمهـم فنجـد " **ابـن حـداد** " الـذي أحـب " **نـويرة** " فهـام بهـا حتى في حلمه فقال فيها:

عَسَاكَ بِحَقِّ عَيـسَاكِ مُرِيحَةً قَلْبي الشَّاكِي

فَإِن الحُسْنَ قَـدْ وَلاَّ كِ إِحْيـائِي وَ إِهْلاَلِي

وَ أَوْلِفي بِصُلبـَان وَ رُهْبانٍ وَنسَّـاكِ

1- ابن حزم : م.س ، ج 2 ، ص 48.

وَلَم آتِ الكَنَائِسَ عَنْ هَوَى فِيهِنّ لَوْلَاكِ

ومَا أنَا مِنْك فِي بَلوَى وَ لَا فَرَج لِبَلْوَاكِ

وَ لَا أَسْتَطِيعُ سِلْوانًا فَقَد أَوثَقْتُ إشْرَاكِي.[1]

فالحبُّ هنا كان أقوَى مِمَّا تمليه قيم المجتمع ، فلم يكترث لشيء ، بَل و يتغنى بِدين حبيبَتِه حتَّى اعتقد أنها أوثقَت إشراكه، و هذا ربمَّا يَدل علَى أنَّ الحب عند العَرَب لم يعْرف حدودًا إقليمية أو عقائدية، و كما قال فيه **ابن بسام** في **"الذخيرة"** : **" و كان أبو عبد الله قد مني في صباه بصبية نصرانية ، ذهبت بلبه كل مذهب، و ركب إليها أصعب مركب، فصرف نحوها وجه رضاه، و حكمها في رأيه هواه، و كما يسميها نويرة كما فعله الشعراء الظرفاء قديما في الكتابة عمن أحبوه ، و تغيير اسم من عقلوه "**[2] يعني أن ابن حدّاد كان صادقا في حبّه و قد عبر عن معاناته من هذا الحب في كل قصيدة كتبها في هذه الفتاة المسيحية التي لم يقدر حتى على ذكر اسمها الحقيقي في شعره ، و لا أعتقد أن الدين هو المانع أو المائل بينهم لأن الكثير من الأندلسيين من خاضوا تجارب زواج من مسيحيات و كما يوجد من هام المسيحية هناك من هام أو مال إلى المرأة ذات الملامح الشقراء مثل ابن حزم .

و بما أن الحب هو شيء موجُود في كل مجتمع فقدْ شهد تنوعًا في الأندلس و ذَلكَ لِتنوع البيئة الأندَلُسية السَاحرة و التي تفتَح النَّفس على الحُب و العِشق ، و هذا ما مكّن المرأة من احتلال مكانة اجتماعية جيدة ، و قد نقل لنا الشعر هذه الحياة كون الشاعر هو مرآة لبيئته و عصره و كون الرجل و المرأة يؤلفان شطري الإنسانية ، فكان على كليهما القيام بواجباته تجاه الآخر و يكمل كل منهما الآخر.

1- ابن حزم : م.س ، ج 2 ، ص 48.

2- ابن بسام الشنتريني: م.س، ص 693.

و لكن أعد كل منهما لمهام معينة و هذا هو وجه الاختلاف بينهما ، و أما عن زواج الرجل مرة ثانية بالمرأة الأخرى ربما كان لا يتم عقد الزواج في الأندلس إلاّ بعد موافقة الفتاة و أهلها على ذلك ، و إن تمّ يدفع الزوج صداقا مقابل ذلك يحدد باتفاق بينهما، و كما وجد الزواج وجد الطلاق فنجد الشاعر عبد الكريم القيسي يبين أن زوجته عجوزا لم تعد قادرة على خدمته و يدعو إلى تطليقها بغرض الزواج من فتاة صغيرة في السن فيقول :

شَكَوْت بِه عَجُوزًا أَنْت مِنهَا بِحَال تَرْتَجِي لَها الاسْتِحَالة

وَ جِئْت لَهَا بِأَوْصَافٍ قبَاح تُنَاسِبُ خَلْقَها مِنْهَا الرَّذَالَة

فَلَم تَتْرُك بِمَا أَبْديْتَ مِنهَا مُدَاعَبة لِذي قَول مَقَالَة

فَطَلّقهَا طَلَاق فَتَى كَرِيْم فَهَاهِي أَكْثَرت زعَمُوا سُؤَالَهُ

فَإِنَّ طَلَاقَها رَأيٌ رشِيد تُحَقِّقُ رشْدَة تِلْكَ الجَلَالَةُ[1]

فنجد هنا نوع من الذِّمة للمرأة بعدما قضت كل العمر و هي في خدمة هذا الزَّوج جاء ما يلهيه عنها و رغبته في الزَّواج من صبية يعيش معها مراهقتَه من جديد و الاستغْناء على رفيقة دَرْبه ظنًّا منه أنه سينعم و تطيب له الحياة بكل متعها فيُنصَح بأن يسارع في الزَّواج فيقول له :

وَ لَا تُطِل التَأيُّم بَعْد و انْكِح فَتَاة تَسْلب الغُصْن اعْتِدَالَهُ

مُمْتعَة يَبِيتُ الصَّب مِنهَا بِما يلْقَاه شَاكِيا اعْتِلَالَهُ

تُحِبُّك مَالَها أحْبَبْتَ يَوْمًا وَتُبْدِي لِلْجَفَاء مِنْكَ احْتمَالَهُ

تَبْكِي إنْ تَمَّتْ عَنهَا يَدمُعُ يَفُوقُ دموعَ بَاكِيك المَسْألَة [2]

1 –عبد الكريم القيسي السبطي: م.س ، ص 304.

2– م.ن ، ص 403.

و قد أحبّ الرَّجل منذ القديم في المرأة صِغر سنِّها و شبابها و ضلَّت هذه الصفة محبوبة فيها إلى يومنا هذا فالَّرجل عند الَّزواج يبْحث دائمًا عن الفتاة الصغيرة ظنًّا منه أنها لا تُسعده إلاّ إذا كانت صغيرة في عـزِّ شـبَابها، و هنـاك نـوع مـن الرِّجـال عنـدمَا تصـل الزَّوجـة إلى سِـن متقـدم يرغَـب في الـزَّواج من أخرى ليعيش معها الشبَّاب مرة أخْرَى.

هذه كانت بعض حالَات الزَّواج وأخْذنا عينة منْها في الزَّواج والطَلاَق أيْضًا وهذه الظاهرة تُثير اهتمـام الأنثروبُولـوجِيين في البحْـث كَونَهَـا مـن الميَـادين الـتي تبحَـث فيهَـا الأنثرُوبولوجْيـا مِـن عَـاداتٍ وتقاليد ونظام وعلاقَات إنسَانية وغيرها وهذا ما أكَّده أبو هِلال في دراسَاته.

2- المرأة /الحبيبة:

نجـد الكثـير مـن الرجـال يتـذللون للمحبوبـة خاصـة إذا كانـت جافيـة القلـب وهـذا يعكـس أن الواقع الإجتماعي الذي تعيشه المرأة هو واقع يضعها في مرتبة علياء وهذا لا يعني أن كل النسوة يعشن مثل هذا الحب وإلا لما كانت تركيبة إجتماعية مختلفة منهم المحبوبة ومنهم المذمومة، وقد جاء في كتاب الزهرة للأصفهاني:"**إن التذلل للحبيب من شيم الأديب ...والحازم من صبر على مضاعفة التذلل وإلتمس الغر في استشعار التذلل فحينئذ يتمكن من وداد محبوبة، ويظفر من هواه بمطلوبة.**"[1] والمعشوقة كما ينعتها هؤلاء الشعراء هي المرأة العنيدة التي يسعى وراءها المحبوب ويتـذلل لهـا ومـع ذلـك يصـبر حـتى يـتمكن مـن وصـالها وينـال لقاءهـا ورأفتهـا بـه، فقيـل عنها :"**هي القاسية الممتعة في الصد والهجر وتعذيب الحبيب، فقد تطمعه ثم تمتنع، وتهده ثم تتماطل وهو لا يستطيع هجرها والبعد عنها، ولا يتصور كيف تكون الحياة يدونها**"[2] فتجد المـرأة في ذلـك حـلاوة واسـتمتاع بوجـود مـن يتمناهـا ومـن الشـعراء الـذين اسـتعطفوا حبيبـاتهم ابن الخطيب، حيث توسل إليها قائلا :

1-.أبو بكر محمد بن داوود الأصفهاني : تح إبراهيم السمراني، الزرقاء، مكتبة المنار، دمشق ، 1992، ط3، ص 23

2- محمد صبحي:م. س، ص 103.

يَا مَلْبَسَ ثَوْبِ السُّقامِ وَتَارِكِي بَينَ الإِوَام وَبيْنَ حُرِّ ضُلوعِي

عَامِل بِما عَودَّت مِنْ لُطْف وَمِنْ رَحمْي وَلاَ تَنْظُر لِسُوءِ صَنيعِ

واَعْطِف عَلَى وَجْدِ بِأَسِير نَائِلْ مَا قَل يَكْثر مِنكَ عِندَ قُنُوعي[1]

فهو هنا يستعطف الحبيبة ويناجيها ويتمنى لو القيل منها فسيقنع به لأن هجرها وتكبرها عنه آلامه ولوعه، فحياته سواء بدونها وبالرغم من إطاحة الشاعر من مكانته بالتذلل لها إلا أنها لا زالت تأبى الشفقة عليه، كونها متأكدة من حبه لها وانه لن يغيرها بأخرى وهذا أمر طبيعي في نفسية كل امرأة تحب أن يتذلل لها عشيقها أو حبيبها.

وقد خاطب ابن جياب محبوبة نجمة معلنا نفسه تابعا أمينا لها فهي بموجب شريعة الحب سيدة مسيرة والآمرة الناهية التي لا يرد لها طلب فيقول :

فَأَنْتَ مَمْلوكَتي رقًا وَمالِكتي بِشَرع حُب وَمَا لِلشَّرْع تَغَير

فَإِن تُسيئي فَإِن الذَّنْبَ مُغْتَفر لَدَي أَو تَحَسَنِي فَالفَضْلُ مَشكُور

أَطِيعُهَا وهِيَ مِلْكِي إِن ذَا عَجَب مِلْك القُلُوبِ لَه حُكْم وَتَدْبِير[2]

ويترك السبطي الأمر للمحبوبته، فهو يرجو رضاها، ويؤكد حبه وإخلاصه لها، فهو ليس ببعيد عن ما سبقوه من الرجال في تذللهم للحبية بغية منال رضاها ولو بالتفانة واحدة للنظر في أحوالهم وعشقهم فيقول لها:

فَقُلْت يَا مُنْتَهَى سُؤَالي وَيا أَمَلِي وَمَنْ رِضَاهَا إِلَى القَصْدِ وَالطَّلَبِ

الحُب أَرْعَى لِذَاك الحَسنِ مَا بَقِيت رُوحِي بِجِسمِي مَالي عَنْك مُنْقَلِب.[3]

1- حمزة محمد عبد الهادي: م.س ،ص 104 .

2- م.ن، ص 274.

3- عبد الكريم القيسي: م.س، ص 221.

وهذا النوع من الرجال يستعذبون الشقاء في الحب ويجدون متعة في التذلل للمرأة، وهذه السمة موجودة عند الكثير وهذا إن ذل على شيء فإنما يدل على مكانة المرأة والحرص على عدم خيانتها والتعلق بها إلى آخر لحظة فكانت بهذا المرأة الأندلسية تحصى بالثقة في حبها ونفسها وعشق الرجل لها خاصة إذا كانت المرأة مترفة ترتدي أحلى الحلي واللباس الحريري والنظرات الساحرة والعطور الزكية.

II-2-مكانة المرأة في المجتمع :

تسعى الدِّراسة الأنثروبولوجية عامة والاجتماعِية خاصة إلى الوُلوُج داخل المجتمع ومعرفة تركيبته ودراسة المرأة لعنصر مهم فيه يعد جزءا من التركيبة الاجتماعية.وخاصة مكانتها في أسرتها لأنَّ الأسرة هي نواة المجتمع فَلِذلك لابدَّ من أن نتطرق إلى نظرة المجتمع أو الشرائح الاجتماعية إزاءها:

II-2-أ-نظرة الشرائح الاجتماعية إلى المرأة:

- النظرة السلبية:

ورد في كثير من الكتب أخبار عن نظرة المجتمع إزاء المرأة في الأندلس فأمدتنا بنصوص تضمنت النظرة السلبية والايجابية، فحسب النظرة الأولى فتعتبر المرأة مصدر شقاء وهدم في المجتمع وأن لا حيز ولا ثقة فيها، إن كانت أما، أو أختا، أو زوجة أو غيرها من الوصيفات التي تحتلها وكانت هناك أمثال فيها مثل قولهم :"**ليْس فِي النسَاء خيْر ولَا فمي**" [1] وقيل أيضا:"**لا تثق ولو كانت أختك**"وقد حذر منها الكثير من الرجال ومن بينهم ابن قزمان ويرى أن الابتعاد عنها أحسن سبيل لأنها غادرة، وغير مؤتمنة، بل وجودها من كل قيمة إنسانية، ويجمع هذا في قوله :

النِّسَا كَمَا فِي عِلمِك الهُروبُ مِنهُم غَنِيمَةٌ

ليْسَ يَرى لِواحِد مِنْهُن مَا بَقِيت فِي الدُّنْيا قِيمَةٌ[2]

1-الزجالي: م . س ،ج2، ص 280.

1- م .ن ، ص465.

فيُبين أنَّ المرأة لهَا صِفات تجعَل الَّرجُل يفر منهَا ولا يئتمِنها في أي شيء وأنها في بَعضِ الأحيان تَستدعي التعَامل معهَا بخشونة كَونهَا معروفة بالتصرفات العنيدة فَهي تريد الوصُول إلى الشَّيء الذي تُريده مهما كان الثمن، وقد وصَل الحدُّ إلى تشبيها باليهود، الذين إذا مَا اختلطت معهُم لحِق بِك الضر والفسَاد، وقال عنهَا أيضًا :

لِسَمِّ النِّسا عَلى شَيء لاَ عُهودَ ولاَ مَواثيقِ

جَنَّة الخَلطَة مَعهُم حَتَّى يَظفِروا بِعاشِق

فتَرى بعْد مَا لَيتَه وَترَى مِن المَخَارِق

وتُضيفُ عَليكَ الأشْيَا وَلا يَرحَمُوكَ فِي ضَيْقَةٍ[1]

يتحدث هنا عن المرأة وعدم الاطْمئْنان لَها فهي ليسَت صاحِبة وعود صَارمة فَكما يُقالُ أنها تَضع نفْسهَا في ذلته حَتَّى تتمكن من العَشيق وبعدهَا تظهَر لَه بصُورة أخرى ليسَت متوقعة لا تَرحَم فيها الرَّجلِ في أوقَات ضَيَّقَة.

ويعرف هذا بِكَيد النِسَاء، وقد تحدث عنه أبو حيَّان الغرناطِي فهو يرى بأن المرأة لهَا كيْد لا يماثله أيُّ شيء، فيطْلب الاحْترازَ منهَا ويقولُ في ذلك:

جَبَل النِّساء عَلى التَكَتُّم فاحتَرِز مِن كَيدِهن وَإنه لعَظيمٌ

فَمتَى تَقفُ فَربمَا عقت فان تَهْتمِل فَكَشخ يُسْتباحُ هَضِيمٌ.[2]

يحذر هذا الشاعِر من النساء وغدرهن فالمرأة لا تسْمح في حقَّها مهْما كَانت النتيجة فالمرأة حسْبَه مِثل الخزَّان تخفي ما تستطيع فإذا ما وصَل بها الأمْرُ إلى الحد الأكْبر فتفيضُ ولا تأخذ في الحُسبان أي شيء فتشْبه في كيدِها البرَكان. ومن الشعراء الذين اسْتصغروا المرأة نجِد الشاعر "**ابن سارة الشنتيري**" فقد تحدث عن زوجته بعدما أن طلقها فأصبح يشبه خِصالها بأنها ذِئبَة فيقول:

أمَّا الزَّمَان فَرق لِي مِن طَلة كَانَت تُطِل دَمي بِسَيْف نِفَاقِها

1- الزجالي: م.س ، ص465.

2- م.ن ، ص466

الذِّئْبَة الطَّلْسَاء عِندَ لِفَاقِها وَالحَيَّة الرَّقطَاءُ عند عِناقِهَا.[1]

فبعد أن طلقها فهو يراهَا أنها امرأة تشبه الذئبة والمعروفِ أن الذِّئب هُولئيم وله صفة الخبث والخداع والحية هي صفة للمرأة التي يراها أنها تشبهما عند معانقتها فهي تلتف على الفريسة فيصْبح الرَّجل وكأنه فريسَتها ويرَى أيضًا بأن المرأة توجَد فيهَا صفة النفَاق وهذه الصِّفة توصَف بها المرأة دائِما منذ القديم إلى عصْرنا هذا .حتىَّ أنَّ أحد الجغرافيين المعاصرين إلى تصنيف عقل المرأة فتحدث عنها "...**عقول العوام أكثر من عقول النسا، وعقول النسا أكثر من عقول الصبيان...**"[2] فهو هنا سيستصغر قيمتها، ويطيح منها ولم يتوقف الأمر إلى هنا بل أن المجتمع السياسي أو الشريحة السياسية أيضا كان لها موقف منها وقيل فيها أيضا :"**الجهل والخطأ في النساء كثير** ..."[3] من هذا نرى أن المرأة كانت النظرة السلبية موجودة في المجتمع فكانوا لا يعرفون قيمة المرأة إلا بفقدانها ،وهذه النظرة السلبية كانت طاغية في الطبقات، إذن فقد كانت النظرة المنقِصة من شأنها موجُودة،كَما كان هُناك من ينْظر إليها بِصفات حَسنة ومن المؤرخِين من وصفها :"**بالأدب ونبل الكلام وحسن المعاشرة ومحاولة الآخرين**"[4] وكان هناك من يقدرها. ويرى منها محط الجمال والأنوثة.

2- النظرة الإيجابية :

يخضع كل مجتمع إلى جملة من العادات والتقاليد والتي تحكمه سواء كانت هذه العادات الحرية أولا فيجب الامتثال لها، وكان المجتمع الأندلسي كثيرة من المجتمعات له عاداته وتقاليد هو كما نظر المجتمع إلى المرأة النظرة السلبية الجارحة فنظر إليها نظرة اعتزاز وكرامة كونها تفرض احترامها على المجتمع لتميزها بالخجل والحياء .

1- محمد صبحي، م.س، ص 165.

2-أبو أحمد الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب،تح، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2003، ص 12.

3-م.س: ص 45.

4- ابن رشد الحفيد: الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون نقلة عن العبرية إلى العربية، شعلان أحمد، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت، 1998، ص 125 .

II-2-ب-المرأة /العفة:

تُعتبر العفة من أهم الصفات التي أحبها الرجل في المرأة منذ القديم كونها تحمل عنوان أنوثتها والمجتمع الأندلسي كان يحب هذه الميزة الجميلة في المرأة، ومن الشعراء الذين جذبتهم عفة المرأة الأندلسية نجد الشاعر"**عبد الكريم القيسي**"الذي تحدث عن نفسه أثناء مراودته لبنت صغيرة على نفسها لكنها رفضت ذلك بالرغم من صغر سنها لكنها كانت واعية وعفيفة فهي بنت الرابعة عشرة من عمرها فقال عنها :

رَوادْتهَا عَن نَفْسِها فِي خُلوة وَقد اكْتستْ وجْناتهَا وَرْد الخَجَلِ

قَرَنت إِلي مِن الحَياءِ، بِمقْلةٍ فَتَّانة مَا كُحْلُها إِلَّا الكُحْلِ[1]

فهذا الخجَل الذي ظهر على الفتاة يدل عضلى عِفتها وحفاظِها على شرفهَا داخوْل المجتمع لأن قيمة المرأة تكمُن في نظرة المجتمع من حَولها فإن حَافظت على الشَّرف فهي مرأة سَامية وإن حدث العكس فتبدو الندَّالة على وجضهها، ويصور لنا آخَر عفَّة المرأة الأندلُسية قائلا:

لَولَا تَجَنيه قُلتُ:الخُلْد مَنسَّضوة وَ أنَّ رِضوانَ فِي الفردَوس رثَاه[2]

فالشاعر هنا يضرى بأن عفة المرأة قد توصِلُها إلى أن تَكون من نِساء الجَنّضة، فنستنتج من هَذا أن المجتمع الأندلُسي يعْلي من فتية المِرأة الطاهرة ذات الأخْلاق الحسنة غير الماجِنة التي ينبذها الكبير والصغير، وهَذا كله من عَادات وتَقاليد المجتمَع فتصبح هذه النَّظرة بالفِترة.

..ومن صور عفتهَا أيضا أن يراها الرَّجل امرأة مغَايرة لجَميع نِسوة العَالم وهذا "**ابن سارة**" الذي يعلي من قيمة معشوقته فقال فيها :

وَزائِر زارَ فِي لَيْلِ كَلِمته فَقامَ عِنْدي إِلى صُبح فَفَرَّتْه

عَفَفتُ عَنه عَفافَ الحَي المُقتدِر وَعِفة المَرْء فَصَل عِندَ قُدرتِهُ[1]

1-عبد الكريم القيسي: م.س، ص 308.

2-ابن خاتمة الأنصاري: م.س ، ص 59.

إذن نرى بأنَّ قيمة المرأة ترتفع بعفتهاحيث أنها تغرض عَليه احترامها فيصبح الرجل يخجل من عِفة المرأة، فلا يتجرا على تجاوز مَا لا يُمكن بينهم وهذا مَا أوضَحَه الشَّاعر في حديثه عن حبيبته فهو كأنما خَلقت مِن مسكٍ والنَّاس مِن طيف وأكد لنا هذه النَّظرة أيضا"**ابن زيدون**" في "**ولاّدة**" فقال فيها:

رَبِيب ملَك كَأنَّ الله أنْشَأَه مِسْكًا وقَدْرُ إنشَاء الوَرَى طبَنا[2]

يعني هذا أن المرأة كلما كَانت حسَنة الخُلق كلمَا ازداد حُبُّ الرَّجل إليها خاصَة والمجتمع عامة، وعليه فإن هذه المكانة التي تحتلها بهذه الصفة هي مكانة عالية تحافظ على وجودها داخِل المجتمع، مما يمكنها من ممارسَة حقوقها بكل حُرية. والمرأة الأندلُسية قَد لاقَت حُرية كبيرة في مجتمعها.

II-2-ج-المرأة / النسب:

إنَّ النسب له تأثير نفْسي في جميع أفرْاد المجتمع، ويلعَب دورًا هامًا في بنَاء العلاقاتِ فمنذ القديم ونحن نسمح بأن المرأة التي لها نسب ذا شأن عال يرغب فيها كل الرجال ويسعون جاهدين لنيل بحبها.

وهذا موجود بكثرة في الفكر الاجتماعي للأندلس، فكَان بنظر للمرأة ذات المرتبة الإجتماعية الرفيعة على أنها إمرأة مترفة عن كل ما هو رذيل فلا يحق حتى ذكر إسمها لعلو مكانتها في داخل بيئتها، وقال ابن زيدون في هذا السياق:

لَسْنا نُسميكِ إجْلالًا وتَكْرمَة وَقدْرك المُعتَلي عَلى ذَاك يُغْنينَا

إذَا انفردَت ومَا شُوركْت في ضعة فَحَسبُنا الوصْف أيضًاحَا وَتَبْيِنًا[3]

1-المقري: م.س، ج3.ص355

2- ابن زيدون: م.س، ص 144.

3- ابن خاتمة الأنصاري: م.س، ص 59.

فكان الشاعر يخجل مِن تسمية المرأة بإسمها تقْديرا لمكانتِها الاجتمَاعية، وكما نعرف أنَّ العرب تتغنوا بأنسابها وفخرت بأصولها في الشعر منذ الجاهلية، وقد أحب الشعراء الأندلسيين هذه الصفة في المرأة فيقول فيها "**ابن زيدون**" أيضا :

مَاضُر إنْ لَم نَكُن أكفَاءه شَرفا وَفي المَودّةِ كاف مِن تَكَافِينا[1]

فقد كان للنسب دور هام في المجتمع الأندلسي حيث كان الرجل يعتز بنسب حبيبته، وقد انتشر هذا بصفة كبيرة في المجتمع الأندلسي، فيرى الرجل نفسه في نسب زوجته أو حبيبته، وهناك من الشعراء من لم يصرح باسم المرأة، فيعمدون إلى الكنية، إجلالا وإكراما لنسبها، فنجد "ابن حداد"يتحدث عن محبوبته"**نويرة**" قائلا :

حَسُنت اسْم إلفِي فَدأبَا لا أُسَميه وَلاَ أزالُ بِألْغَازِي أُعْمِيه[2]

وبالإضافة إلى النسب الذي يمنع من تسميتها يمكن أن يرجع النسب أيضا إلى طبيعة البيئة الإجتماعية الأندلسية التي يحافظ فيها على مكانتها كونها من عليه القوم وأشرفهم فيحاول دائما كما قلنا أن يتقرب الرجل إليها ينتظر إلتفاتة منها، وهكذا كانت نظرة المرأة داخل مجتمعها تتراوح بين السلبية والإيجابية وهذا أمر طبيعي في الشيوع البشري، فمن المستحيل أن يتميز كل النسوة بالعفة أو علو النسب فهناك من كانت كأميرة في وسط مجتمعها ومنهن من عاشت حياة مليئة بالظلم والفقر لا تملك أي حرية في نفسها كالجواري فهن يعملن على تلبية رغبات مالكهم فقط دون اعتراض وهناك أيضا من نظر للمرأة نظرة سوء وهجن صِفاتها فلم يَرى فيما سِوى القبح والنذالة والعكس مَع النِّساء الشريفات فكل مرأة تقوّم على حسب أفعالها ومكانتها الإجتماعية.

1- ابن زيدون :م.س، ص 142.

2 -ابن خاتم الأنصاري:م.س، ص 160.

III-نظرة المرأة لذاتها (مخاطبة الذات للذات):

تهتم الأنثروبولوجيا بِدراسة سُلوك أفراد المجتمع، وما نحاول معرفته هنا هو كل ما يتعلق بالسلوكات والتصرفات الصادرة من المرأة الأندلسية فكيف تعاملت مع الحرية التي منحت إليها وكيف عاشت مغامرة الحب وغيرها من المواقف التي مرت بها .

III-1-المرأة/ الحب:

لقد عاشت المرأة على مستوى الحياة العاطفية حياة بارزة، فمارست الحب والعشق بطريقة مولعة إلى حد الاستهتار خاصة في عهد الطوائف ولعل كتاب طوق الحمامة **لابن حزم** وما يحمله من هذه التجارب صورة لفلسفة الحب والعاطفة عند المرأة الأندلسية ومن النساء اللواتي عشن مغامرة الحب أم العلاء "**بنت يوسف الجحارية**" فقد تحدثت عن حبها وعشقها قائلة :

كُلُّ مَا يَصْدُر مِنكُم حسَن وَبعَلْياكُم تَحَلَّى الزَّمَن
تَعْطُف العيْن عَلى مَنظَركم وَبِذكْراكُم تلِذُ الأذُن
مَن يَعيشُ دُونَكُم في عُمْره فَهُو فِي نَيل الأمَاني يُغْبَن[1]

فهي تعيش مغامَرة الحب وتعلِن عنهَا وهذا ناتج عن الحرية التي تمتعت بها المرأة فكَان لها الحق في التعبير عن حبها والإعلان عنه لأنه كل ما في الأندلس من جمال يستدعي النفوس على الحب خلافا على ذلك انتشار مجالس اللهو واختلاط البناء الاجتماعي حيثُ لم تبق في الأندلس إلا النسوة الأندلسية فقط بل هناك أخريات من جِنسيات أخْرى.

1- المقري:م.س، ج5، ص 307

فتفكير المرأة في الحب كان من بين ما انشغلت به خاصة إذا كانت المرأة لها ميزان عن باقي النساء فتحاول إبرازها وجذب الرجل إليها، فكان الشعر بمثابة المتنفس لها لإدلاء رأيها في الحبيب أو تستعمل الشعر كوسيلة لإيصال مشاعرها ومنهن أم الكرم بنت المعتصم بن صمادج قائلة:

يَا مَعشضر النَّاس ألاَ فَأعجَبُوا ممَّا جنبته لوعَة الحُب

لَولاَه لَم يَنْزِل بِبَدْر الدُّجَى مِنْ أُفُقِهِ العُلْوْي لِلترب

حُبِي يَمن أَهْوَاه لَوْ أَنَّهُ فَارَقَتْنِي تَابِعَهُ قَلْبِي[1]

هذه صورة أخرى من حرية التعبير التي عاشتها فلم يكن من العيب أن تصرّح وتعب عن حبها سواء كانت هذه المرأة جارية أم حرة فالشاعرة لا تحكمها أية قيود، وهذا راجع إلى إحساس المرأة نفسها أنها لا بد لها من شريك يقاسمها الحياة.

كما كانت بعض النسوة يحبون معاشرة الرجل وأن تعيش معه الحب بكل تفاصيله، فتخلع بذلك عن وجهها معنى الاستحياء وتعلن عن شهواتها ورغباتها المكبوتة، وهذا راجع بالطبع إلى العامل النفسي فنجد"**ولاّدة**" تصرح عن مرادها في ملاقاة الحبيب ليلا فتقول :

تَرقَب إذا جُنَّ الظَّلاَم زِيارتي فإنَّني رَأيت اللَّيل أكتَم للسِر

وبي مِنك مَا لو كَان بالشَّمس لَم تَلح وبِالبدْر لم يَطلَع وباللَّيل لَم يَسْر[2]

مثل هذه العبارات تكشف لنا وضعية معينة للمرأة في مجتمعها أي بطريقة ليس بقصد فلربما كان العشاق في الأندلس يرون في الليل ستارا لحبهم يحجبهم عن أعين المجتمع ومثل هذه التصرفات تضرب في عمق البنية الثقافية للمجتمع.

وهناك من الشاعرات من عبرن عن ما يدور بينها وبين عشيقها بكل حرية ودون اعتبار لأي شخص من مجتمعها ومنهن " **نزهون بنت القلاعي الغرناطية**" قائلة :

1- المقري: م.س ،ج3 ، ص 19

2 – مصطفى الشكعة: م.س، ص 181.

لله دُرّ اللَّيالي مَا أحيسِنهَا ومَا أحيسن منهَا ليلَة الأحَد

لو كُنت حَاضِرنا وقَد غَفلَت عَين الرَّقيب فَلم تَنْظر عَلى احَد

أبْصرت شَمس ضُحى في سَاعِدي قمر بَل رِيم خَازمة فِي سَاعِدي أسَد [1]

فهي تعلن في شهواتها دون خجل وحياء، وشيوع مثل هذه الظواهر في الأندلس عامة وسلوك المرأة الأندلسية خاصة وأسفارها موّدة إلى التفاعل الاجتماعي الذي شهدته الأندلس، فقد حدث امتزاج بين الحرب والأسباب من خلال المصاهرة واقتناء الجواري والإسبانيات، مما أدى على انتقال بعض العادات الأوروبية على المجتمع الأندلسي، وقد كانت في النساء غالبية الأمراء والخلفاء والولاة وعن أبناء الطبقات الرفيعة، من الجواري الإسبانيات مما كان له تأثر عميق الأسرة الأندلسية.

III-2-المرأة والغناء:

وهو الميدان الذي برزت فيه الجواري، وقمن بدورهن فيه بكل براعة وقد جلبت الجواري في أول الأمر من خارج الأندلس. لهذا الغرض قصد الترفيه والتسلية في قصور الملوك، وقد كن يقمن بإحياء مجالس الغناء في تلك القصور. والملاحظ أن أهل الأندلس غالوا في الترف الشديد وأسرفوا بذلك في الشراب إسرافا شديدا، وفي هذه الظروف كثرت الجواري والفتيان " وقد أحب الأمر هذا النوع من التسلية فأصبحوا يتنافسون في استجلاب الجواري اللواتي يعرفن ضروب الفناء ومن أشهرهن " **علم**" و " **فضل**"، و " **الجارية العجفاء** "[2] ولا يعرف لها اسم هذه الأخيرة فقد أخذت هذه التسمية نسبة إلى هزالتها كان يمتلكها مسلم بن يحي محولي بن زهرة وكان فقيرافأتقنت الشعر والغناء فأنشدت يوما:

بُرجُ الخَفَاء فَأيَّما بِك تَكُتم وَلاَ سَوَف يَظْهَر مَا تَسُر فَيَعْلَم

مِما تَضْمن مِن عزَيز قَلبه يَا قلُب إنَّك بِالحُسْان لِمُغْرم

1 – مصطفى الشكعة: م.س، ص 253.

2– م.ن، ص 119.

يَا ليتَ أَنَّك يضا حُسام بِأرضِنا تَلقى الراسِي طَائِفا وتَخِيم

فَتذوقُ لَذَّة عيشِنا ونَعيمه ونكُون إخواناً فماذَا تَنقَم[1]

وكانت هذه الجارية تتقن قول وعناء الشعر الوجداني، الذي يخاطب العاطفة ويهز المشاعر وكانت الجارية "**العجفاء**" الذميمة شكلا الساحرة فتناشد وتغنى حتى ذاع صيتها، فسمع بها عبد الرحمن الداخل فاشتراها من صاحبها.

والجارية " **قمر**" كذلك وهي من أشهر القيان اللواتي وفدن من المشرق وهي شاعرة جميلة جمعت الظرف في الأدب والحفظ مع الرواية، مع فهم بارع وفصاحة وبيان، وكانت جارية " **لإبراهيم بن الحجاج**" ومن أشهر ما قالت:

مَا في المغارب مِن كَرِيم يرتَجي إلاَّ حَلِيف الجُود إبرَاهيم

إني حَلَلتُ لَديه بِمنْزل نِعمَة كُلُّ المَنَازِل مَا عَدَاه سقِيم[2]

وقد أجادت هي الأخرى في الغناء وكانت تعاني من الحنين والغربة كونها من بغداد مدينة السحر والجمال. ومن الملفت أن الحرائر لم يكن لهم حضور في ميدان الغناء، بل اقتصر على الجواري والقيان وأغلبهن جواري غير غربيات.

أما في الجو العام لهذه المجالس التي كان يحييها الجواري فقد قيل فيها :" **كانت هذه المجالس التي تحييها الجواري في قصور الأمراء بريئة ساذجة في أول أمرها لا يقصد بها غير الترويح عن النفس وقضاء فترات الراحة في سرور. ولم يخالطها شراب ولا سكر، لان الخلفاء ومن معهم كانوا عن جانب من الدين. ثم صارت تلك المجالس لا تخلوا بعد من الشراب. بل كان الشراب عمادها وقوام أمرها لاستهتار من خلف الأمويين**"[3]

إذن يمكننا أن نقول بأن الجو العام لهذه المجالس كان لا غاية له سوى الترفيه عن النفس ثم مع الاختلاط الذي حدث في الأندلس أصبحت هذه المجالس مكانا للسكر والمجون وكل الآفات المتنوعة

1- عبد العزيز محمد عيسى: الأدب العربي الأندلس، مطبعة الاستقامة ، ط2. (د.ت)، ص 207.

2- مصطفى الشكعة: م.س، ص 120

3- م.س ، ص207.

في المجتمع فأصبح همهم الوحيد هو امتناع رغباتهم الجنسية والروحية لا غير وكل هذه الظواهر داخلة في النشأة الاجتماعية، ويصبح الشعر الذي ينتج في هذه المجالس موروثا ثقافيا يمكن للدارس أن يتعرف من خلاله على طريقة الحية آنذاك وقد قال فيها أبو زيد في دارسته الأنثروبولوجية: "...**وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل: التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك الإنساني**".[1]

ويتضح لنا أن مختلف السلوكات الصادرة في المجتمع الأندلسي إنما تعكس لنا كيفية الحياة ونظمها التي كانت سائدة والعادات والتقاليد التي كانت تحكم المرأة الأندلسية سواء كانت حرة أم لا.

III-3-المرأة وصراع الزمن (مشكلة العنوسة):

إن الجمال من أهم الصفات التي أحبها الرجل الأندلسي في المرأة، وكان عند المرأة مفخرة فترى في جمالها وشبابها صفات جاذبة للرجل، وقد تميزت المرأة الأندلسية بالجمال الفائق كجمال بيئتها تماما، وهذا الجمال لا يعني حتما أن المرأة ستعيش حياة سعيدة وتهنئ بزوج تعيش معه قصة حب رائعة وحياة زوجية مليئة ومفعمة بالسعادة ومن بينهم "**نزهون**" التي كانت ترى في شبابها كل شيء فتقول في نفسها :

لَوْ كُنْت تَبْصِر مَن تُكلِمه ؟ فَأجَابَت لَغَدَوتَ أخْرَس من خَلاخِله

الدرُ يطْلَع مِن أزرتــه وَالغُصْن يمْرح فِي غَلائِلْه[2]

وليس غريبا هذا أن تفتخر المرأة شبابها قبل أن تصل إلى سن متقدم فلا ينظر لها لا كبير ولا صغير فكانت تعاني كثيرا عند كبرها دون أن تتزوج أو تعيش على الأقل قصة حب تكسبها انتعاشة في نفسها وتعيش إحساس تغني الحبيب بجمالها، ومنهن" **قسمونة بنت اسماعيل**"فنظرت ذات بوم

1- مصطفى الشكعة: م.س ، ص207.

2- جلال الدين السيوطي:م.س ، ج3،ص 100.99.

للمرأة فانتبهت بأن جمالها فقد وهدر وهي على أبواب هو آن أوان الزواج ولم يتقدم أحدا إلى خطبتها فقالت:

أرَى روضَة قَد حَانَ مِنهَا قِطافُها ولَسْت أدى جَان يمُدُّ لَها يَدًا

فَرَّ أسَفا يُمضِي الشَّبَاب مُضيعًا وَيبْقَىَ الذي مَا إنْ أسَمِيه مفردًا[1]

هذه الشاعرة هنا تعبر عن كل مشاعر الحزن والوحدة التي تحملها في قلبها جراء ذهاب جمالها هباء، دون شريك يقاسمها أفراحها وأحزانها، ويقدر جمالها وتستقر هذه الشكوى في فؤاد الشاعرة لتدمي نفسها حيث تشكو همها إلى الطبيعة فتخاطب طبية رأتها فتقول :

يَاظَبيـة تَرْعَى برِوض دَائما إنِي حَكَيتكِ في التَوحشِ والحُورِ

أمْسى كِلانَا مفْردًا عنْ صَاحب فَالتصْبر أبدا عَلى حُكْمِ القَدَرِ[2]

وهذه أيضا تعاني من تقدم السن وتتعذب منه فإحساسها نابع من قلبها الذي يحزن لجمالها الضائع وقد جعلنا تحس بالوحشة والغربة والوحدة مما جعلها تتذرع بالصبر والاستسلام لحكم القدير وهذا له تأثير كبير في نفسية المرأة منذ القديم إلى يومنا هذا بالرغم بأن سنها قد يكون في مجتمعات أخرى ليس سن زواج وهي لا زالت صغيرة، لكن البيئة الأندلسية كانت ترى حفاظ المرأة على شرفها أن تتزوج ولاسيما كما قلنا إذا كانت من عليه القوم ونجد "**مريم بنت أبي يعقوب**" تشكو الشيخوخة والهرم في صورة مفعمة بمشاعر الحزن والأسى على ما فاتها من سنين العمر فتقول :

وَمَا يُرتجَى مِنْ بِنْت سَبعِينَ حَجة وَسَبع كَنَسْج العَنْكَبوتِ المُهَلْهلِ

تَدُب دِيبَ الطِّفل تَسْعى إلَى العَصَى وَتَمشِي بِها مِنِّي الأسِير المكبَّلِ[3]

1 - المقري:م.س، ج5، ص 76.

2 - م.ن، ج3، ص 77.

3- م.ن، ج5ص 103.

فهنا يتضح بان المرأة بمجرد فوات عمر الزواج يذهب الشباب والجمال فتصبح مرآة واهنة ضعيفة فترى نفسها أنها طفل صغير مكبل مما يثير الشفقة في النفس على المرأة التي بلغت من العمر ولا مقاومة لها حتى لنسيم الهوى.

وأهم ما يمكن الوصول إليه من هذه المعاناة لبعض النسوة أن النساء الجزائر كن أكثر جرأة على طرق بعض المواضيع من الجواري والقيان فكن لهن الحرية في التعبير عن الحب أو ما يختلج نفسهم سواء كانت سعيدة أم لا فيحق لها التعبير عنه، عكس الجواري والقيان فهن لا يشغلون إلا للمعاشرة ومجالس اللهو والسهر، فكن يغتنمن هذه الفرصة للتعبير أيضا عن الحب والهوى والرغبة في إقامة علاقات مع الرجال بما أنهن سنا أصحاب النسب لكي يضعون له حسبانا في حياتهم .

III-3-المرأة الشاعرة :

لقد أخذت المرأة الأندلسية مكانة هامة في عدة ميادين ، و من أهمها الشعر، فقد راج الشعر السنوي الأندلسي في الوسط الإجتماعي كونها إنتهجته كوسيلة للتعبير عن مشاعرها و مواقفها فسنأخذ إذن نماذج من الشاعرات الجواري و الأحرار.

III-3-أ- الشاعرات الجواري :

أسهمت المرأة في الأندلس في رفد العلوم المختلفة، و كان الأدب المجال الواسع الذي برزت فيه، و لعل الطبيعة الأندلسية الساحرة هي التي ألهمت المرأة الأندلسية و أجرت على لسانها الشعر الرقيق و قد تألقت في هذا الميدان بخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر مطارحة و إجازة للشعر بين الجواري و الشعراء، فكانت المرأة سريعة البديهة و أدق طبعا من الرجل و سنعرض في ما يلي الجواري اللواتي مارسن الشعر.

- بثينة بنت المعتمد بن عباد :

شهدت بثينة مباهج الحياة في الأندلس فلقد ورثت الشعر عن ذويها و ورثت الجمال عن أمها " **الريميكية** "، و أكثرت بثينة من الشعر و لكن لم يبق منه إلاّ القليل عندما حلت النكبة بأبيها الملك المعتمد و أُسِرَ و تعرض قصره للسلب و النّهب [1]، و قد نشأت في بيئة شعر و جمال إذ ورثت الشعر من ذويها، و كانت حاضرة الجواب سريعة الخاطرة حلوة " و لقد جعلها المؤرخون ضمن الشاعرات الجواري ، رغم أنها حرة من صلب الملوك,لكن الدهر قد مال عليها حيث وقعت أسيرة في جملة من سبي في قصر أبيها " [2]

وتعد بثينة رائدة من رائدات القصة الشعرية في عصر الطوائف فقد سخرت شعرها (و جعلته يقوم مقام النثر في المراسلات)[3] ، و هي كغيرها من الشاعرات اللواتي أثر فيهن تقلب الظروف السياسية و الاجتماعية فصنع منهن نسوة اتصفن بالغموض و الحذر ، و ربما كان سببا في استغلال المرأة لهذا الفن للتعبير عن مكوناتها ، و مما قالته :

وَ قَديماً كَلَّف المَلِك بنـا وَرَأى مِنَّا شمُوسا فَعِشْق.[4]

فهذا ما قالته في العشق، و ما يختلج نفسها من هذه المشاعر الجميلة فمثلما عاشت المرأة الأفراح و الحب فهي عاشت أيضا أحزانا و لاقت ذلك بكل صمود و إيمانا بالخالق أمام كل التقلبات، فقالت أيضا:

مِنْ بَعْد سَبْعِ كَأحْلاَم تَمُر وَمَا تَرْقَى إِلى الله تَهْليل وَ تَكْبير.

يَحِل سُوء بِقوم لَا مَردَّ لَه وَ مَا تَرُدُّ مِنَ الله المَقَادِير.[5]

---

1 –المقري : م.س ، ج 6 ، ص 26.

2 – م .ن ، ص.ن

3 –م.ن ، ج .ن ، ص 21 .

4– ابن زيدون : م.س، ص 34.

1– سلمى سليمان علي : م.س ، ص 303.

فترى الشاعرة و تؤكد أنه يجب الالتفات إلى الله سواء في المسرّة أو الحزن فيكون الشكر و النعمة و الابتهال لله الذي ترجع إليه مقادير الأمور ، إذن فإن الشاعرات قد وظفن الشعر في الجانب الديني و هنا نجد نوع من التوعية و في الجانب النفسي حتى لا تكبت المرأة حبها بداخلها.

و من المجالات التي تحدثت فيها " **بثينة** " المجال السياسي و العسكري، إلاّ أنها، و ربما كان هذا امتداد و تأثر منها بالمكانة التي سجلها التاريخ لأبيها فقد قالت متأثرة بذلك:

وَفَرَّ مِن حَولِه تِلكَ الجُيوش كَمَا تَفِرُّ إِن عَانَيت صَقْرا عَصَافِير.[1]

فتعكس لنا شعرها أن المرأة الأندلسية لم تكن منشغلة فقط بالجمال و اللباس و الحب، بل أنها كانت تتأثر حتى بالأمور التي تخص الحرب كون الأندلس شهدت الكثير من الحروب كالفتوحات الإسلامية فلم تكن هي بعيدة عن أحداث التي تسير هناك ، و من شعرها كذلك :

يَحِلُّ سُوء بِقَوم ، لَا مَرَدَّ لـه وَ مَا تُرَّدُ مِنَ الله المَقَادِيرُ[2]

و من هذا نرى بأن المرأة أثبتت صمودها ، و إيمانها بالخالق أمام تقلب الأحوال ، و بثينة من الشاعرات المؤمنات بقضاء الله و قدره، و هذا نابع من قرارة نفسها، و ما يمكن قوله عن هذه الشاعرة أنها شاعرة مقتدرة أبدعت في الشعر فكان لها إلماما بمواضيع مختلفة حيث أنها وجدت تنفسا لروحها في هذا فحاولت التعبير به عن هواها و قلبها في فرحه و حزنه.

3- أنس القلوب:

1- م.ن، ص99.

2 -م .ن ، ص 359.

تميزت أنس القلوب بجرس موسيقى عذب ، فذاع صيتها ، و كانت عند المنصور بن أبي عامر المتوفي سنة (392 هـ) وفي أحد مجالس الشراب بعد أن دارت الكؤوس غنت أنس القلوب:

قَدُمَ اللَّيل عِنْد سَيْرِ النَّهَار وَ بَدَا البَدْرُ مَثَلاً نِصْف سِوَار

فَكَأنَّ النَّهار صَفْحة خَد وَ كأنَّ الظَّلام خط عَذَار[1]

و عندما أنشدت أعنيتها هذه أعجب بها أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم و كان حاضرا فارتجل على الفور أبياتا بعد أن عرف أنه المعني بالأبيات :

كَيْفَ كَيْف؟ الوَصل لْلأَقْمَار بَيْن سِحر القَنا وَ بَيْن الشِّفار

لَوْ عَلِمْنا بِأنَّ حُبك حق لِطَالَبْنَا الحَياة مِنْكَ بثَار

وَإذا مَا الكِرامُ همُوا بِشَيء خَاطَرُوا بِالنفُوس فِي الأخْطار[2]

فلما سمعها المنصور غضب و أراد أن يقتل الجارية ، لكنها بكت فأمرها بالاعتراف و قال: قولي و أصدقي إلى من تشيرين بهذا الشوق و الحنين ؟؟

فقالت الجارية " إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى و أولى ، و الله ما كانت إلاّ نظرة ولدت في القلب فكرة ، فتكلم الحب على لساني و برح الشوق بكتماني ، و العفو مضمون لديك عند المقدرة ، و الصفح منك معلوم عند المعذرة.[3]

فقال أبو المغيرة على لسانها أبياتا :

أَذْنَبتُ ذَنْباً عَظيمـًا فَكيفَ منْهُ اعْتذَارِي

1- أبو حسن علي بن بسام الشنريني: م.س، ص 141.

2 - م .ن ، ص 142.

2- م .ن ، ص 143 .

وَالله قدر هـذَا وَلم يَكُن بِاخْتيـاري

و العَفو أحْسن شـَيء يَكُون عِند اقتـدارِ.[1]

و قيل أنه لما سمع المنصور الشعر، هدأ غضبه و رق قلبه للوزير الكاتب أبي المغيرة، ثم عفا عنه، و وهب أنس القلوب إليه، و لقد تميزت أنس القلوب بذكاء شديد و موهبة كبيرة، فكانت سريعة الخاطر، سخرت شاعريتها بذكائها ، فاستطاعت أن تصل إلى من تبتغي و تحقق آمالها دون عناء ، و من خصال هذه الشاعرة أنها كانت تحب الاعتذار إذا ما بدى منها ما ليس لائق.

فهي هنا تعتذر عن ما بدى منها من تقصير نحو الآخرين بكل رقة و كما يقال الاعتراف بالخطأ سيد الفضيلة ، و هذه صفة جميلة في الإنسان و بخاصة المرأة ، كما كانت تعمل هذه الشاعرة توظيف ما تكتسبه من محيطها من أمثال العرب و حكمهم .

فقد تضمنت حكمة (العفو عند المقدرة). وهي مشهورة عند العرب وتدل على إطلاعها على ثقافتهم و أحوالهم وهذا يدل على أن الشاعرة تزيد من خلال شعرها أن توضح بأن المرأة هي على دراية كبيرة بما يوجد في بلدها و على أي شيء تقوم و كيف تسير فيها الأحوال و كما برعن الجواري في إلقاء الشعر كذلك النساء الأحرار أبدعن فيه و سنحاول رصد بعض الشاعرات ومعرفة المواضيع التي استلهمتهم لكتابة الشعر.

III-3-ب- الشاعرات الأحرار:

لاشك أن الشاعرة الحرة أسعد حظا و أرفع مكانة و أوفر إنتاجا من الشاعرة الجارية، ربما نظروا إليها نظرة اختلفت عن نظرتهم للشاعرة الجارية، و لقد بلغت حرائر الأندلس و بخاصة القرن الرابع الهجري مكانة رفيعة.[2]

1- إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 2 ، 1979 ، ص 490.

2- المقري : م .س ، ج 2 ، ص 150 .

– الغسانية البجانية :

اسم هذه الشاعرة " الغسانية " و لقبها البجانية ، نسبة إلى بجانة و لم تذكر سنة ولادتها و لا سنة وفاتها [1] ، عاشت الشاعرة أعواما من عمرها في القرن الرابع و عاصرت فترة ملوك الطوائف في القرن الخامس ، فهذه الشاعرة الأدبية المداحة التي مدحت الملوك " كانت مشهورة " بظرفها و أدبها و جمال لطفها و بهائها و كمالها ، و كانت عالمة بضروب الشعر و روايته [2] ولم يصل من شعرها الكثير فمن بين ما عثر عليه ما قالته في :

أَتَجْزَع إِنْ قَالُوا اسْتَظْعَن أظْعان وَكَيْفَ تَطْيق الصَّبر وَحْيكَ إِنْ بَانُوا

وَمَا هُو إِلاّ المَوتَ عِندَ رحيلهِم وَإلاّ فَعَيْشُ تَجَني مِنهُ وَ أَحْزانُ

عَهِدْتهُم والعيْش في ظِل وَصْلهِم أنِيق وَ رَوضُ الدَّهر أزْهر رَيَّانُ

أَلاَ لَيْتَ الشَّعر وَالفُراق يَكُون هَل تَكُونُون لِي بعْد الفُرَاق كَمَا كَانُوا؟[3]

تعبر الشاعرة هنا عن الحالات التي تعيشها فهي تخاف الفراق و ما يحمله معه من أسى و حزن و تقلب الأحوال، فهذه الشاعرة كغيرها من الشاعرات مؤمنة بقضاء الله و قدره، فقد قالت شعرا في الموت الذي هو قدر كل إنسان ، فتقول :

فَمَا هُو إلاَّ المَوت عِندَ رَحِيلهُم و إلاّ فعيشٌ تَجتَني مِنه أَحْزان[4]

فمع إيمانها إلاّ أنها عند الفقدان و خاصة للقريب تفقد معه الفرحة و الأمل و حتى أنها ترى الحياة موتا ، و إن لم تكن كذلك فهي حياة حزينة بائسة ، و يمكننا أن نستخلص من نظرتها أنها

1- م.ن ، ج 5 ، ص 259.

2 – م .ن ، ج.ن ، ص 260.

3 –ابن باشكوال : م.س ، ج3 س ، ص 528.

4 –م.ن ، ج 5 ، ص 693.

تتميز بخصلة الوفاء ، فالمرأة الوفية هي التي ترى في رحيل حبيبها أو زوجها أن الدنيا ليس لها معنى و أنه لا يوجد بديل للحبيب ، حتى أنها تحب الرحيل وراءه من هذه الدنيا .

و قالت فيه :

وَقَد كُنتُ أَوقَات التَّزاورِ في الشِّتا أبِيتُ علَى جَمر مِنَ الشَّوْقِ مُحْرِقِ[1]

نحس من خلال تعبيرها أنها في اشتياق شديد ، فحبها قوي عنيف و هذه هي ميزة الحب في الأندلس فكان له مكانة كبيرة في حياة الجنسين سواء كان من حب المرأة للرجل أو العكس إذن فقد كانت الغسانية نموذجا من الشاعرات الأحرار في الأندلس اللاتي برعن في مجال الشعر و الأدب عموما، و تمتعن بالذكاء و الحنكة في التصرف مع المواقف مهما اختلف

– ولادة بنت المستكفي بالله:

الشاعرة ولاّدة بنت المستكفي من الشاعرات اللاتي عاصرن نهاية عصر الخلافة ، و هي ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن الملقب بـ (المستكفي) ...، و قد وصفتها المصادر التاريخية بإعجاب كبير ، لما تميزت به من صفات فريدة ميزتها عن نساء عصرها .[2]

كما قد اشتهرت هذه المرأة الشاعرة بالفصاحة و إجادة الشعر مؤثرة في النفوس، و لها دور في المساهمة بتطوير الحركة الأدبية في الأندلس من خلال مجالسها الأدبية ، التي كانت تعقد في قرطبة و يحضرها كبار الأدباء و الشعراء الذين كانوا يتبارون بالشعر و النثر.

أما من حيث ميزاتها كأنثى فهي " كانت صافية البشرة ، بيضاء و شعرها ذهبي برّاق و دائما تزين صدرها بعقود اللؤلؤ المزدوجة و الخلاخيل "[3] و عند الحديث عنَ ولاّدَة لابد من ذكر

1 – سلمى سليمان : م.س ، ص 26.

2– ابن زيدون : م.س ، ص 144.

3 –م .ن ،: ص 33.

قصة حبها الشهيرة مع ابن زيدون التي عاشتها بكل تفاصيلها و تميزت بجرأتها في حبها عن باقي النسوة و نجدها تضرب موعدا للقاء مع حبيبها دون خجل قائلة :

تَرقَّب إذا جُن الظَّلاَم زِيارتِـي فَإني رَأيْت اللَّيْل أكتم للسِر

وَبي مِنكَ مَا لَو كَان بِالشَّمسِ لَم تَلح وَبالبَدْر لَم يَطْلع وَبِالنَّجم لَم يسْر[1]

من هذا نرى بأن ولادة لم تكن تخجل من علاقتها بابن زيدون ، فتعبر عن حبها بكل حرية و عن شهوتها الجنسية له دون أي اعتبار ، فظهرت بهذه الصورة إمرأة جريئة غير محتشمة تعبر عن مكنوناتها النفسية و العاطفية، بل أنها أصبحت طالبة متذللة، حتى أنها زارت حبيبها في الليل و ذلك يقودها إلى ما لا يحمد عقباه ظنا أن الليل يخفي أسرار العشاق.

و كانت ولادة تشتاق كثيرا " **لابن زيدون** " خاصة عند غيابه عنها فقالت في هذا أبياتا عبّرت بها عن حالتها النفسية :

أَلَا هَل لَنا مِن بَعْد هَذَا التّعزتِي سَبيل فَيشْكو كُل صبّ مَا لَقِي

وَقَد كُنت أَوْقَات التَّزاور فِي الشِّتا أبِيتُ عَلَى جمْر مِن الشَّوق مُحرق

فَكَيفَ و قَد أمْسيت فِي حَال قطعة لَقد عَجّل المَقدُور مَا كنْت أتّقي

تَمرّ اللَّيالي لَا أَرى الليل ينقضِي وَ لاَ الصّبر مِن رِق التَشَّوق مُعتقِي[2]

عبّرت بهذه الأبيات عن شدة الشوق للحبيب و عشقها له ، فقلبها متأجج بالشوق لساعات اللقاء ، و كما قلنا هذا راجع إلى الحرية الزائدة التي كانت تتمتع بها المرأة الأندلسية غير أن ولادة نظرا لمكانتها الاجتماعية فإنها كانت امرأة كثيرة الاعتزاز بالنسب و الأجداد و الذات

1 – ابن زيدون: م .ن ، ص 145.

2 –محمد صبحي : صورة المرأة في الأدب الأندلسي ، ص 186.

و الأمجاد، و قد بلغ اعتزازها بمكانتها الاجتماعية أن كتبت بالذهب على ذراعيها تعبيرا عن حبها لمعشوقها " **ابن زيدون** " فكتبت على عاتقها الأيمن :

أنَا وَ الله أَصْلَح لِلْمعانِي وَ أَمْشي مِشْيتي وَ أَتيه تَيْها

و على عاتقها الأيسر :

وَ أُمَكن عَاشِقي مِن صَحن خَدّي وَ أَعْطي قبُلَتي مَن يَشْتَهِيهَا .[1]

فهي إذن إمرأة كانت ترى في الحب كل الحياة أو أنها الحياة لا تسير بدون حب حيث أنها كانت تعلن في هذه الأبيات عن ما ستقدمه للحبيب من قبل و هذا يعبر أيضا عن ميولها إلى الحبيب ميولا جنسيا دون خجل أو حشمة إذن فهي شاعرة جريئة ، و لم يكن ابن زيدون هو من أحبها فقط لكنها كانت امرأة يتنافس الرجال على قلبها أمثال : **ابن القلاس و أبو عامر بن عبدوس** ، و لم يحظ به إلا **ابن زيدون** كون أشعارها كلها وردت فيه.

كانت ولاّدة بنت المستكفي من أروع الشعراء و الأدباء في شعرها حيث كانت لها مكانة مميزة في الشعر، و قد عمّرت عمرا طويلا، و لم تتزوج و ماتت ليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين.

و هكذا فإن شاعرات الأندلس أفسحن لشعرهن مكانا رهيبا، إلا أنهن لم يسهمن في كل فنون الشعر و موضوعاته ، و عبرت الشاعرات عن حبهم في هذه الأشعار حيث أنها كانت تمثل لهم المتنفس الوحيد للإدلاء إلى الحبيب بحبهم أو لمناجاته عند البعد عنهم خاصة أن الأندلس عاشت ظروفا إجتماعية و سياسية متنوعة، كانت تستدعي أن يعتب الرجل عن حبيبته أو زوجته.

1- المقري: م .س ، ج 3 ، ص 337.

دام فتح العرب لبلاد الأندلس أكثر من ثمانية قرون وحملوا لها في هذه الفترة العروبة، بما فيها من لغة وأدب ،وتاريخ الأدب العربي في الأندلس هو جزء من تاريخ الأدب العربي العام، وبما أنّ أدب أي أمة هو صورتها، والأديب هو ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها، ويستمد عناصر نشأته ووجوده منها وبذلك عرضت أحوال المجتمع الأندلسي وبنيته الإجتماعية التي لها تأثير كبير

في التراث الأدبي وتحدثت بشكل موجز عن تاريخ الأندلس.

أما عن المرأة من حيث دورها لقد كان لها تأثير كبير في مضمار الشعر من خلال مجالين:الأول: هو قيام المرأة في الأندلس بدور المؤثر في الشعر لما لها من جمال وفتنة، إذ حركت نفسية الأديب ومشاعره في التغزّل بها، فكانت حديث المجالس الأدبية التي تعقد، وكان الشعراء يتغنون بها ويكثرون من وصفها وتشبيهاتها، كما كان للجواري نصيب من هذه الأشعار.

والثاني: هو تأثر المرأة نفسها بالحركة الأدبية التي عمت الأندلس، فقد ضمت مصادرنا العربية العديد من أسماء الشاعرات اللواتي كن معظمهن من النساء الحرائر، حيث نلن قسطا أكبر في هذا المجال من الجواري والإيماء اللواتي برع أغلبهن في الموسيقى والغناء، ولقد أجادت المرأة الحرة في الأندلس نظم الشعر.

ومن خلال النظر فيما قالته شاعرات الأندلس من شعر نجد أنهن تصدين لفنون الأدب وأمعن في ذلك، وقد تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف الذي يعد عصر إجازة الشعر بين الجواري والشعراء.

وكثيرا ما كانت الغلبة والنجاح للمرأة، فهي أسرع بديهية وأرق طبعا من الرجل، ولذلك قمت ببيان صورة المرأة في الشعر الأندلسي بما في ذلك الصورة المادية والمعنوية وكيف كان ينظر لها الرجل كجنس لطيف في مجتمعه، ثم أخذت عينات من شعر النساء الجواري والأحرار.

نتائج الدراسة:

يمكننا أن نحصر نتائج البحث في نقاط كالآتي:

1/كانت المرأة محورا هاما في الشعر الأندلسي، فظهرت بصورة الأم والزوجة التي كان لها وضعا مميزا عند زوجها لها كل التقدير والاحترام وجاءت صورة الحبيبة في الشعر الأندلسي تحفة إنسانية صادقة لازالت مثار إعجاب النقاد والأدباء، ثم إن البيئة الأندلسية شخصت الفتاة على السير في طريق الأدب عموما والشعر خصوصا.

2/استطاعت المرأة الأندلسية مجاراة الرجال في مجال الشعر والأدب فظهرت قوية شامخة، لها حضورا قويا في الحياة الأندلسية فقيل فيها أرق الأشغال وأعذبها، وأسهمت كذلك في رفد العلوم المختلفة وكان للشعر المجال الواسع الذي برزت فيه.

3/من خلال الحياة الاجتماعية والسياسة الأندلسية نلاحظ أن الجارية كانت لها مكانة عند الأمراء والملوك.

4/تألقت المرأة الأندلسية في ميدان الشعر والأدب وبخاصة في عصر الطوائف فجاء شعرها مرآة لمنازعتها النفسية في مجتمعها .

5/طرقت الشاعرة الأندلسية أبوابا لم تطرق من قبل وأثبت قدرتها في خوض هذا المجال.

6/اتخاذ المرأة الشعر كوسيلة للتعبير عن ما نعيشه من أحوال داخل المجتمع الأندلسي من حب، وانزعاج كذلك من صراعها مع الزمن بعد انقضاء عمرها دون زواج.

توصيات البحث :

أما توصياتي لمن سيبحث في التاريخ الأندلسي كالآتي :

- ضرورة البحث في أخبار الشاعرات في العصر الأندلسي والغوص في عالمهن.
- التعمق في دارسة الأدب الأندلس في عصوره المختلفة وبيئاته المتنوعة .
- إجراء دراسات مقارنة بين الشعر الأندلسي مع غيره من العصور من حيث الأعراض والخصائص والغة والأسلوب والخيال وغيرها.

وأخيرا أتمنى أن تكون هناك دراسات مكثفة وذلك بالبحث في كل ميادين التي تخص الأندلس لأن البحث في طياته شيق ولا يمكن الإلمام بكل الجوانب .

أدعو الله أن أكون قد وفقت ولو بطرق القليل من أبواب الأندلس والحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر و المراجع :

-القران الكريم:برواية ورش عن الإمام نافع ،طبعة 1419ه/1992م.

المصادر

1- أبو حيان الغرناطي: الديوان ، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي بغداد مطبعة العاني ، 1989.

2- ابن خاتمة الأنصاري: الديوان تحقيق محمد رضوان بداية ، دار الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1982 م

3- ابن رشد الحفيد: الضروري في السياسة ، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون نقلة عن العبرية إلى العربية ، شحلان أحمد ، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت ، 1998 م .

4- ابن رشد القرطبي : فتاوى ابن رشد ، تحقيق ، المختارين الطاهر التليلي دار المغرب الإسلامي ، طبعة الأولى ، بيروت ، 1987.

5- ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله،تحقيق علي عبد العظيم ،مكتبة النهضة مصر 1987

6- ابن فكرون: الديوان تحقيق محمد بن شريفة ، الرباط ، أكادمية المملكة المغربية ،ط3 ،1989

7- حسين فهيم: قصة الأنتروبولوجيا ، فضول في تاريخ علم الإنسان ، عالم المعرفة الكويت ، عدد 98 ، 1986.

8- سالم عبد العزيز: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، دارسة تاريخية عمرانية ، أثرية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الجزء 2 ، 1982 م .

9- ..... : تاريخ باطليوس الإسلامية و غرب الأندلس في العصر الإسلامي مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، الجزء 1 ، (د ، ت)

10- عبد الرحمن الحجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة دار القلم ، الطبعة 3 ، دمشق ، 1987.

11- كمال السيد أبو مصطفى ، بحوث في التاريخ وحضلرة الأندلس في العصر الإسلامي ،الإسكندرية.

12- لسان الدين بن الخطيب ، الصيب و الجهام و الماضي و الكهان تحقيق محمد الشريف قاهر ، الجزائر ، الشركة الوطنية ، 1983.

13- نبيل صبحي حنا ، الأنتروبولوجيا الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1984.

المراجع الحديث

14- أبو حيان الغرناطي ، الديوان ، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ، بغداد مطبعة العاني ، 1989

15- أحمد أبو هلال ، مقدمة في الأنتروبولوجيا التربوية ، مطابع التقاونية الأردن، عمان.

16- أشرف محمود ، قصيدة المديح في الأندلس عصر الطوائف ، دار المعرفة الجامعية السويس ، 1998

17- ابن حزم ، طوق الحمامة في الألفة و الآلاف ، تحقيق محمد يوسف ، دار الكتب اللبناني ، طبعة 1 ، بيروت ، 2004 م .

18- ابن عذاري : البيان المغرب ، دار الثقافة ،الرباط، ط 1 ، ج 3 ، 1998 م .

19- ابن عبد الرؤوف القرطبي : آداب الحسبة و المحتسب ، تحقيق فاطمة الإدريسي دار ابن حزم ، ط 1 ، بيروت ، 2005.

20- حامد الشافعي دياب ، الكتب و المكتبات في الأندلس ، دار قباء للطباعة و النثر ، طبعة 1 ، القاهرة ، 1998 .

21- حسن أحمد النوش ، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الأندلس ، دار الجيل بيروت ، طبعة 1 ، 1999 م .

22- حسن شماتة سحفان ، دراسات في علم الإنسان ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1993.

23- حسن عبد الحميد أحمد رشوان،الأنثروبولوجيا في المجالين النظري و التطبيقي، و المكتب الجامعي ،الاسكندرية،ط2009،1م.

24- الزهرة إبراهيم : الأنتربولوجيا و الانتربولوجيا الثقافية ، النايا للدراسات و النشر و التوزيع ، سورية ، دمشق ، ط 2009

25- سمية الدجالي ، القصيدة العربية الأندلسية الغزلية ، دار المستقبل العربي القاهرة 1997

26- سهيل إدريس : المسهل ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط 14 ، 1994 م.

27- عبد الحميد لطفي : الأنتروبولوجيا الاجتماعية ، دار المعارف ، القاهرة .

28- علي بن محمد : النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، مضامينه و أشكاله دار الغرب الإسلامي ، طبعة 1 ، بيروت ، الجزء (1) ، 1990 م.

28- عبد العال الجسماني : علم النفس و تطبيقاته الاجتماعية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 1992 م.

29- فاطمة الجيوشي ، عيسى الشماس ، التربية العامة ، جامعة دمشق ، كلية التربية 2002.

30-عبد الله عبد الغني غانم،الأنثروبولوجيا الثقافية ،المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية ،ط1،

31- محمد صبحي ، صورة المرأة في الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف و المرابطين عالم الكتب الحديث طبعة 2 ، 2005 م .

31- محمد عباس إبراهيم ، الأنتروبولوجيا ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1992.

32- منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي : علماء الأندلس في القرنين 04 و 05 هـ دراسة في أوضاعهم الاقتصادية و أثرها على مواقفهم السياسية ، مكتبة الفهد ، ط1 الرياض ، 2003م.

33- النـويري ، نهايـة الأرب فـي فنـون الأدب ، المؤسسـة المصـرية العامـة للتأليف والترجمة، و الطباعة و النشر ، القاهرة ، ج 1 ، (د ، ت) .

34- يوسف الثالث،الديوان ، تحقيق عبد الله كنون ، المكتبـة الأنجلو المصـرية ، الطبعة 2 ، القاهرة.

35- وسـام العثمـان ، المـدخل إلـى الأنتروبولوجيـا ، الأهـالي للطباعـة و النشـر و التوزيع ، ط 2002.